العزف على أوتار بشرية

محمد نجيب عبد الله

العزف على أوتار بشرية / قصص

محمد نجيب عبد الله

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ – ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

تدقيق لغوي :

أحمد منتصر

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٩٨٧٩

I.S.B.N:978- 977- 6297- 47- 0

العزف على أوتار بشرية

قصص

محمد نجيب عبد الله

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى جـــنى .. أولى ثمرات الجنة ..

إلى فيض نعمة أنعم بها الله علي وزاد بها من جوده فأسميتها
جودًا ..

إلى الحلم الذي لم يتحقق بعد - ويعرفُ اسمه - وأرجوه
أن يُقبـــل كما اعتاد أن يزورني في منامي مرارًا ..

إلى الدكتور يوسف إدريس رحمه الله ..

إلـــيـــكـــم جميعًا ..

أحبتي ورفقاء دربي وزمننا الصعب ..

أهديكم تلك المجموعة .. وأرجو أن تعجبكـــم..

مع مـــــــودتـــــي ...

محمد نجيب عبد الله

يوم جمعة



حين جاء الصباحُ ..

قام فأخذ السرير يئز ويتأرجح كأنما بين الحياة والمـــوت .. الملاءة مغضنة الملامح مثل وجهه الذي لطمته السنون بسَمْتها.. الصنبور يقطر ماءً ضئيلا كأنه يترفه .. في سخط حاول إغلاقه مرارًا .. فأدرك أنه صار خربًا ككثير من الأمور ..

لم يتحمَّس لتناول كوب شايه الأسود المر في البيت .. لـــذا ارتدى ثياب خروجه الوحيدة على عجل .. تاركـــًا زوجتــه نائمة.. سيتناوله على المقهى قبل أن يذهب إلى عمله .. عينـــاه ما زالتا نصف مغلقتين وهو يصب الكوب إلى جوفه لا يدرك أساخن هو أم بارد؟! لاحظ أن عدد الزبائن قليل.. لم يـــزدد تساؤله أكثر من ذلك ..

حانت منه التفاتة إلى جريدة بين يـــدي جـــار لـــه.. و في اللحظة التي همَّ بالتحوُّل عنها .. إذ قـــرأ كلمـــتين في ركـــن الصفحة الأولى كانتا ((عدد الجمعة)) .. و للمرة الأولى يدرك أن اليوم عطلة ..

ما الذي حَمَله على الاستيقاظ مبكرًا إذن ..

استنكف أن يعاود النوم بجوار زوجته برائحتها الخانقة .. حتى هو .. لا يطيق رائحته شخصيًّا .. ودَّ لو أنه استحم قبل نزوله ككل جمعة ..

استغنى عن جلسته مستخدمًا قدميه لبعض السير .. فوجد نفسه قد غادر حارته .. بل حيَّه بأكمله ..

تأمل وجوه من حوله .. هل هناك أحد يعرفه ؟ بآلية أخذ يغذُّ السير حثيثًا كأنما هو على موعد هام .. استرعى انتباهه أحد المحلات الكبيرة .. وقف أمام واجهة العرض .. في ذهول أخذ يتأمل المعروضات غالية الثمن تافهة القيمة .. مازال المحل مغلقًا .. حارس أمن شاب يجلس أمام المحل متظاهرًا بقراءة مصحف في يده و الزبيبة تغطي جبهته .. استمر يراقب واجهات المحلات .. متخيلاً ملكيته لكل ما يرى .. لا غرامة على الخيال .. و إن لم يكن باستطاعته أن يملك .. فعليه على الأقل أن يحيا بالحلم .. وهم ؟! .. لا يهم .. حتى الوهم لا يخلو من جمال .. و الجمال نادر .. و الندرة شيء قيم .. كم الساعة الآن ؟!

خلع ساعته فهو لا يريد أن يعرف ..

على البعد شاب وشابة .. يبدوان كخطيبين .. حبيبين .. زوجين حديثين .. كلٌ منهما يميل على صاحبه كأنما ليظله .. و للمرة الأولى أيضًا يدرك أن الجو لا يخلو من حرارة .. و أن العرق يتصبب منه غزيرًا كأنما هو حمّامُه الذي لم يدركه قبل نزوله .. إنه لا يذكر إن كان قد مال على زوجته هكذا قبل أن يتزوجا .. هل كان يحبها ؟! لابد أنه كذلك .. إذن لِمَ تزوجها إن لم يكن كذلك ؟!

دائمًا ما حلم بزوجته متوّهمًا أنها غادة حسناء .. بيضاء مُشرَّبة بالحمرة .. شعرها ينسدل على كتفيها كشلال من ماء عذب .. فمها ثمرة كرز جاهزة للقبل .. كلامها همس .. و همسها غزل .. تشيع البهجة في مجلس هي تحضره .. و آخر هي غائبة إلا من ذكرها والكلام عنها .. إذا نظر إليها استنكر أن يتداخل معه في الرؤية شيء آخر.. و إذا تكلم معها ود لو انتهى حديثهما حينما تحين ساعته .. الابتسامة تملأ وجهها نورًا و إشراقًا .. على وجهه ارتسمت ابتسامة رضا .. كأنما تحقق له ما أراد ..

رأى عربة فول على البعد .. فتذكر أنه لم يفطر بعد ..

الفول الساخن .. طعمه لذيذ و هو ساخن .. لماذا فقط و هو ساخن ؟! تناول قطعة من المُخَلَّلِ وقضم من

الساندوتش و هو يقول لنفسه إنه لا يعرف .. رأى — و هـــو يهم بتناول الساندوتش الثاني – شحاذا رثَّ الهيئة ينظرُ إليهِ في حسرةٍ .. توقف لوهلة بفمه الفاغر .. تبـــادلا النظـــراتِ .. قلَّـــبَ نظره فيمن حوله كي يتأكد أنه هو فقط المقصود .. عادت عيونهما تتلاقى .. تتناقش .. تتبـــارز .. في خطـــوات قصيرة بطيئة أخذ الشحاذ يقترب منه .. الساندوتش مازال في يده كما هو .. عيونهما مثبتة .. يقتـــرب أكثـــر .. الحـــوار الصامت يعلو بينهما .. تمتد يده – مهتزة – بالـــساندوتش .. دون أن يخفض عينيه ، يتناوله الشحاذ كأنه حق مكتـــسب .. وبينما هما لا يزالان ينظران لبعضهما الـــبعض قـــضم قـــضمة صغيرة في تلذذ .. و ارتسمَ على شفتيه شـــبحُ ابتـــسامة .. ثم قضم قضمة ثانية .. فثالثة ..

استأنف السير وهو مازال يختلس النظر ما بـــين اللحظـــة و الأخرى إلى الشحاذ ، الذي فقد اهتمامه به وبدأ ينظر جهة أخرى مؤملاً في رزق جديد ..

نفض يديه .. كأنما من بقايا عمل يدوي صعب .. و رغم استمرار إحساسه بالجوع ، إلا أنه لا يريد أن يأكل ثانية ..

أحس بالتعب يغزو قدميه .. يصعد إلى ساقيه .. ففخذيه .. إنه محتاج للراحة .. كم الساعة الآن ؟!

نظر إلى معصمه لم يجد ساعته .. نظر خلفه على الأرض .. شك لوهلة أن يكون الشحاذ قد سرقها منه إلا أنه تذكر فجأة أين وضعها فتنفس الصعداء ، إذ من أين له أن يشترى غيرها .. هنا سمع أذان صلاة الجمعة .. صلاته الوحيدة .. دخل المسجد و توضأ .. و انتحى ركنًا يرتاح فيه فغلبه النوم .. ليستيقظ على الإقامة .. و يقف جنبًا إلى جنب مع حارس الأمن و الشحاذ اللذين تركهما منذ قليل ..

و حين انتهت الصلاة ..

قام الشحاذ يهتف في المصلين .. ذكر كثيرًا من قبيل الزوجة الميتة والأطفال المرضى .. العملية اللازمة ، الديون المتراكمة ، الغرامة المستحقة الدفع .. إلخ .. إلخ .. انهالت عليه صدقات المصلين .. و هو يراقبه في حسد .. متمنيًا لو واتته بعض من شجاعة .. فقام مثله زاعقاً في الناس .. بل آمرًا إياهم .. بأن يقتسموا معه جنيهاتهم القليلة .. فقراء يضحك بعضهم على بعض.. و بالرغم من عدم مواءمة المكان أو المناسبة .. انفجر ضاحكاً مُتخيِّلاً نفسه بدلاً من الشحاذ .. يلاحقه سخط رهيب من جموع المصلين و إمام المسجد .. و حتى الشحاذ الذي وجد في ضحكه شيئاً شتت انتباه الناس عن تأدية فريضة التبرع له .. إلا أن كل السخط الذي في القلوب والوجوه والألسن ما لبث أن استحال شفقة حينما تعالت

الأصوات مدعية جنونه .. فخرج من المسجد مترنحًا .. متقنًــا لدوره .. محيلاً ضحكه إلى هــستيريا .. فأخــذ يــضحك و يضحك و يضحك حتى كاد يتقيأ .. و طفرت عيونه بالــدمع واحمرَّت .. ثم ما لبثت أن انقلبت سحنته كآبة مطلقة .. كأنما هو قد استنفذ طاقة الضحك داخلــه و لم يبــق لــه ســوى الاكتئاب.. فتابع سيره وقد امتلأ الطريق حوله بالناس .. المدينة الآن مستيقظة .. نشطة .. مزدحمة .. كأنها نفس بشرية تعــج بالأحاسيس والانفعالات .. تصطرع .. تــصطخب .. تعلــو أصواتها .. تترف الدمع غزيرًا .. تمنى لو كان مقاتلاً .. غنيًّا .. ذكيًّا .. عالمًا .. أو حتى لاعبًا للكرة .. أي شيء مميــز .. أي شيء يجنبه الدخول في صراعات مع الآخرين .. مع الأيــام .. مع الزمن .. مع زوجته .. أو حتى مع نفسه ..

دار بعيونه فيمن حوله .. لماذا ينظرون إليه هكذا جميعًــا .. هل هو مخطئ .. هل أجرمَ في حقٍّ نفسه وحــقٍّ الآخــرين .. عيونهم الآن تلسع جسده المُشرَّب بالعرق .. الــسياط تلــهب جلدَه الساخنَ .. تفقأه و تتوغل داخله .. يسرع في ســيره .. العيون تلاحقه .. أخذ يجري من مجهول لديه .. يجري ويجري ويجري .. بأقصى ما يستطيع .. لابد أن يغادر هذا المكــان .. يخرج من مجال الرؤية .. يخرج من هذه الدنيا التي يحياها علــى غير اختيار .. أشار إلى تاكسي .. توقــف .. وحينمــا هــمَّ بالركوب .. وجد عيون السائق تسبقه .. في عنف صفق الباب

في وجهه مستأنفـًا الجري .. بينما السائق يتابعه بالنظر ضاربًا كفـًا بكفٍّ .. عبرَ الـشارعَ مُـسرعًا فكـادت تدهـسه السيارات.. صدرُه يعلو و يهبط في جنون .. عيونـه زائغـة ونفسه مضطربة كمجرم هارب .. كم الساعة الآن ؟!!

إنه جائع جدًا .. و يريد النومَ والاستحمامَ .. ألا يوجد هنا حمَّامٌ .. هل كان يحب زوجته حقـًا ؟!! هل مال عليها هكذا من قبل ؟!! اصطدمت نظراته بنظرات الشحاذ الناقمة .. مـا الذي أتى به إلى هنا .. لماذا يلاحقني .. يكاد قلبـه أن يغـادرَ صدرَه من الهلع .. لابدَّ أنه يريد أن يسرق ساعته .. و لكنه لن يسمح له .. لن يسلبه أحد شيئـًا يملكه بعد الآن .. يكفي ما يُسلبُ منه كلَّ لحظةٍ وكلَّ ساعةٍ وكلَّ يوم .. وقتُ الـسلبِ انتهى .. شخص آخر هو الذي يرتدى حذاءَه الآن .. يلـبس ملابسه .. يعرق بدلاً منه .. أنفاسه المنتظمة – الآن – تـدل عليه .. نظراته الثابتة .. ابتسامة ثقة تعلو شفتيه كأنما هـو خارج لتوه – منتصرًا – من معركة حاميةِ الوطيس .. ومـن جيبه العلويِّ أخرج علبة سجائره .. أشعل سيجارة ، وتنـاول نَفَسًا في بطء .. مُستمتعًا بكلِّ لحظة يرتشفُ فيهـا .. كأنهـا رحيق زهر .. شفتا محبوبة – بالطبع ليست زوجته – مثل ثمرة

الكرز .. يخرج الدخان على شكل حلقات صغيرة لا تلبث أن تتلاشى ..

الحر يزداد .. والعرق صار لا يطاق .. ماذا لو خلع ملابسه الآن ؟!! سينظر الناسُ إليه كمجنون .. ولكن ألم ينعتوه بالجنون فعلاً بعد صلاةِ الجمعةِ ؟! تذكّر المَوقف ثانية فعاودته نوبة الضحك .. وهو واقف وسط البشر .. في قلب الطريق .. فاستحالت نظرات الشحاذ الناقمة إلى أخرى مندهشة .. الناس حوله يسيرون فلا يعيرونه انتباهًا .. فتوقف وهلة وتساءلَ .. لماذا لم ينعتونه بالجنون الآن .. لماذا لم يتجمعوا حوله .. هل فَقَدَ- حتى - اهتمامهم بجنونه وأفعاله اللامعقولة .. هل اعتادوا عليه فلم يعودوا يعبأون بما يأتيه مجددًا .. يا لها من خيبةِ أمل .. ليت رئيسه في العمل يراه الآن .. كم يود لو يرى تأثير أفعاله على وجهه المبتئس الكالح .. لابدَّ أنه كان سَيُصعق .. هل كان سيفصله ؟!! ربما حوَّله لمستشفى المجانين .. تذكّر وجهه حين طلب سُلفة لأن ما كان معه انتهى والشهر لا يزال في ثلثه الأول .. كان خليطًا بين المعرفة والدهشة .. التصديق والاستغراب .. القبول والامتعاض .. لا بد أنها تلك السجائر اللعينة التي تمتص راتبه فلا تُبقي منه شيئًا .. في سخط ألقى سيجارته وانهال عليها دهسًا حتى فتتها .. ثم تحسَّر

على ثمنها .. ألم يكن من الأجدر أن ينتـــهي منـــها أولاً .. ثم يفعل بعُقبها ما يشاء .. اكتسى وجهه بلمحة حزن .. إلا أنـــه ما لبث أن قال لنفسه فلتكن تلك السيجارة الأخيرة .. وأوفـــر ثمنها لبيتي و ما يحتاجه .. ماذا عن المقهى ؟! .. إنه يدفع فيـــه جزءًا كبيرًا أيضًا .. كلا .. لن يجلس على المقهى ثانية .. بـــل سيقلع عن القهوة تمامًا .. ويكفي كوبُ شاي واحد في اليوم.. ثم لا يهم أن يفطر .. سيكتفي بغذاء دسم .. و لكن منذ مـــتى كان يتناول في غذائه شيئـــاً دسمًا .. إن وجود قطعة من اللحم أو ربع فرخة في وجبة الغذاء لهو حدث أسبوعي خطـــير .. لا يحدث سوى يوم الإجازة ..

يوم الإجازة !!!! أي يوم الجمعة .. أي اليوم .. كم الساعة الآن ؟!.. كم الساعة الآن ؟!! في لهفة أخذ يبحث عن الساعة بين جيوبه ..

كم الساعة الآن ؟!!

لم يجدها ..

أجل هذا ما حدث .. لم يجـــدها .. الآن .. لم يجـــدها .. قلـــب جيوبَه للخارج .. خلع قميصَه .. انكبَّ علـــى الأرض بحثـــاً .. كالمجنون يكاد يثقب الأرض بحثـــاً عن الـــساعة .. بعد بحثٍ مُضنٍ .. جلس على الأرض القرفصاءَ .. و قد نسيَ

كلُّ شيءٍ عن الغذاءِ والأكل والسجائر والقهوة والجلوس على المقهى..

أين هي الساعة الآن ؟!!!

طفرت عيونه بالدمع حزنًا وكمدًا .. وفقط الآن أيـضًا .. رآها .. قابعة على الأرض .. بجواره تمامًا .. كأنما هي تخرج له لسانها .. لقد كانت هاهنا منذ البداية إلا أن عيونه فـشلت في رؤيتها .. ضربَ الأرضَ بجوارها عدة مرات .. إلا أن أصابعَه رفضت أن تلمسَها .. جيوبُه لفظتها في التوِّ واللحظةِ إلا أنهـا أبت أن تدله على مكانها ..

و بيد مرتعشة و نفس مضعضعة ..

اقترب منها جاثيًا على ركبتيه .. كأنه يركع لها .. يـؤدى صلاة أخرى غير صلاة الجمعة .. وفي حركة واحدة التقطها .. كاد يقبِّلها .. يضمها إلى صدره .. يبكي فوقها .. إنها الساعة التي أهداه إياها والده - رحمة الله عليه - بعد حـصوله علـى الثانوية العامة .. ورغمَ قِدَمِها .. و بشاعةِ شكلِها إلا أنها ثروته الوحيدة .. كان سيهديها لولدِه بالتبعية حين حصوله هو أيضًا على الثانوية العامة .. فارتدى قميصه بنفسٍ تلهجُ بالشكر .. ثم قامَ من الأرض ونفض ملابسه كأنه ينفض التراب - ليس عنها

- بل عنه هو شخصيًّا .. ملـسَّ على شعره الأشعث .. وبدأ يلتقط أنفاسه .. ارتدى الساعة مرة أخرى .. وأخـذ يحـرك ذراعه مستعرضًا إياها ..

كم الساعة الآن ؟! .. إنها الثالثة و الربع ..

أين هو الآن ؟!.. يا إلهي ها هو النيل أمامَه .. لا بـدَّ أنـه على الكورنيش .. قلب نظره فيمن حوله فوجـد الكراسـي تغص بالعاشقين المنفصلين عما حولهم .. و كل يقسم لصاحبه ألا أجمل ولا أحلى ولا أظرف ولا أرق منه في الوجود .. لـو أن الأمر كذلك حقاً .. فلِمَ كل هذا الشقاء في هذه الدنيا ..

إلا أن دكة واحدة كانت خالية ..

هرول نحوها سريعًا قبل أن يـتم شَغلـهُا .. لم يجلـس عليها.. بل مدَّدَ جسده كله .. ناظرًا إلى الـسماء الزرقـاء .. رغمَ سحاباتِ الأتربةِ والدخان الأسودِ التي تكاد تَخنـق كـلَّ الكائناتِ ..

بدأت أجفانه تثقل ..

ثم ما لبث أن استسلم للنوم ولعالم الأحلام ..

حينما استيقظ لفـَّه الظلامُ ..

بأعين نصف مغلقة تلفـت حولـه .. العاشـقون ازدادوا التصاقـًا وهمسًا .. كل اثنين استحالا كائنًا عاشـقيًّا واحـدًا متكرسيًا .. لا صوت .. لا حركة .. لا شيء .. صورة ثابتـة هو المتغير الوحيد داخل إطارها الحديدي الصدئ .. لكن منذ متى كان العشق يعترف بالصدأ .. الزواج فقط يعترف بـه .. وهو متزوج.. حياته فقط تعترف به .. وهم لا يَحيُونَ حياته.. الفلس .. الجوع .. الحاجة .. كم الساعة ؟!!!

خُيِّـلَ إليه أن الزمنَ قد توقّـفَ .. أو ربما هـو الـذي توقف بالزمن .. قام عن دكته .. وأخذ يتمطع .. ثم تثـاءب طاردًا كل أثر النعاس .. فرد ذراعيه عن آخرهما مستقبلاً نسيم الليل العليل .. العرق قد جف على جسده وصـار احتياجـه للاستحمام أكثر من ذي قبل .. لا أثر للحرارة الآن كأنه عالم غير الذي كان بالنهار .. دنيا غير الدنيا .. ولكنه ما زال كما هو .. ماذا لو أنه الآن صاحب سيارة فارهة .. تمامًا مثل تلك الواقفة هناك.. وبصحبته غادة حسناء كالتي كان يتخيلها .. ثم لو أنه معه من النقود ألف .. كلا .. بل عشرة آلاف .. كلا.. كلا .. بل مليون .. أجل مليون جنيه .. لا بد إنـه حينئـذ سيبدو في غاية السعادة .. لو أنه كذلك حقـًّا لأعطى الشحاذ نقودًا بدلا من ساندوتش الفول ..

يا إلهي .. كم هو جائعٌ .. إنه لم يأكل سوى ذلك الساندوتش اليتيم .. حتى الغذاء الدسم فوّته .. وهنا كان بائع بطاطا يمر بجواره فأشار إليه .. ثم اشترى بخمسين قرشًا .. وعاد إلى دكته .. يلتهم البطاطا الساخنة في نهم .. ترى لو كان معه المليون جنيه .. هل كان سيلتهم البطاطا في سعادة كما يفعل .. إنه يشك في هذا .. لكنه لن يغير من الأمر شيئًا ..

ثم فجأة .. تذكّر شيئًا هامًّا جدًّا ..

زوجته .. أجل زوجته ..

إنها لا تعلم أين هو .. لابد أنها في غاية القلق عليه .. إنها حتى لم تره حين نزل في الصباح .. كيف لم يفكر فيها قبل الآن .. بل إنه فكر فيها كثيرًا ولكنه أبدًا لم يخطر على باله مبلغ قلقها في غيابه ..

إنه مخطئ حقًا ..

لابد أن يعود إلى منزله في غاية السرعة ..

كم الساعة الآن ؟!!!!

سيستقل تاكسيًّا حتى يضمن وصوله بأسرع طريقة ممكنة ..

فتش في جيوبه .. تأكد من وجود ما يكفي من نقود .. في لهفة أشار إلى تاكسي .. لم يتوقف .. فآخر .. كلا .. والوقت يمر .. الثالث .. عليهم اللعنة جميعًا .. ثم أخيرًا توقف أحدهم.. رجل عجوز يبدو أنه يقود التاكسي ليتكسب منه ما يكفيه وعائلته .. إنه لزمنٌ صعب .. المهم الآن زوجته .. ترى هل أبلغت البوليس .. هل بحثت في المستشفيات كالمجنونة .. إنه يذكر يوم تاه ابنهم الأصغر .. لقد كادت تلقي بنفسها تحت عجلات المترو من أجل أن تعلم أين هو .. وحينما اكتشفت أنه كان يلعب في بئر السلم وغلبه النعاس .. صفعته صفعة ارتج لها كيان الصغير كله .. بل ارتج لها كيانه هو شخصيًّا .. ليختلط بكاء الطفل بالأم التي ضمته إلى صدرها في اعتذار فوريّ .. هو أيضًا غلبه النعاس .. بل غلبه كل شيء .. ترى هل ستصفعه و تضمه إلى صدرها كما فعلت مع الولد الصغير.. أمر السائق بالإسراع .. وما أن توقف حتى كان يلقي له بالنقود ويسرع كما لو أن قطارًا سيفوته .. ولج الحارة .. وأخذ يجري ويجري ويجري .. تمامًا كما في الصباح .. أمام عينيه تجرى صورٌ للشحاذ وفرد الأمن والمصلين وإمام المسجد والعاشقين أمام النيل .. ثم صورة للزوجة التي لطالما تمنَّاها ..

البيضاء المشربة بالحمرة .. الشعر المنسدل على الكتفين كشلال من .. .. .. ثم ... اختفت الصورة .. بل اختفى كل شيء .. لم يعد هناك سوى صورة بيته وزوجته و أولاده .. و ...

إنهم يعتمدون عليه في كل شيء ..

ضاعف من سرعته .. إنه يحبهم .. صدره يعلو ويهبط .. ويحب زوجته .. على باب المترل .. وجد زوجته .. حولها نفرٌ من الجيران .. شعرها مشعث وملابسُها متهدلة .. كتفاها ساقطان .. وعيونها محمرة من أثر البكاء .. قد افترشت الأرض وغير بعيد عنها أطفاله .. نيام حولها .. كقطة وصغارها .. دون أن يتوقف .. استمر جاريًا باتجاههم .. الدهشة تعلو وجوه الجيران .. في بطء محسوب .. تبدأ الزوجة تبعد يديها عن عينيها .. كأنها زهرة تتفتح .. أجل إنها زهرته هو ..

وفي مشهد ظل عالقًا في ذهن كل أهل الحي كنموذج للغرابة ...

تلقف زوجته بين ذراعيه .. واحتضنها في قوة أدهشتها هي.. وسربت الحمرة من عينيها إلى خديها .. غالبت دموعها وهي تقول :

– قلقتنا عليك .. خير ..

واضعًا يده على كتفها .. واليد الأخرى على الأولاد الذين استيقظوا من نومهم مندهشين ككل الموجـــودات حـــولهم .. بدأوا يصعدون الدرج إلى شقتهم الضيقة .. بينما تفرَّق الجمع من حولهم ضاربين كفـًـا بكفٍّ ..

على السلم قال في صوت هو أشبه بالهمس .. أو الصلاة ..

– هاموت من الجوع .. وعايز أستحمى ..

فسبَّلت الزوجة بعينيها وهي تقول :

– (الغدا لسه زي ما هوَّه .. ما حدش لمسه في غيابك .. خش يا خويا خد لك حمام على بال ما أسخن الأكل ..)

طفرت دمعتان ساخنتان من عينيه ..

و قد أحس الآن ..

الآن .. فقـــط ..

كم هي جميلة ....

الحيـــــاة ....!!!!

بكاء

كان الجو حارًا قائظـًا .. الشمس بأشعتها الملهبة تلسع قمة رأسي .. صلعتي تلمع كأنها حذاءٌ جديدٌ .. حبَّاتُ العرق تتكاثفُ عند جبهتي فتتثاقل وتسقط إلى مقلتي .. عيناي حمراوان كأنني شيطان من شياطين جهنم، تمتد يدي المتسخة بذلك المنديل المهلهل في محاولة يائسة إلى وجهي، لتخلصه من العذاب.. حلقي جاف ولساني متخشب وشفتاي مشققتان، قميصي أصبح مبتلاً بذلك الخرق الواضح عند إبطي، جيبه الذي خطته بالأمس يبرز بتأثير علبة (الكليوباترا) داخله، تمتد أصابعي تلتقط سيجارة من داخل العلبة .. أشعل عود ثقاب وأراقبه وهو يحترق كأنني أراقب نفسي، أشعل السيجارة وآخذ منها نفسًا عميقـًا .. الدُّخَانُ يتوغّلُ داخلي يزيده ضبابًا على ضبابه .. في شرود أتأمل الدخان الخارج من أنفي وهو

يمتزج بالهواء المحيط ثم لا أعود أراه.. لكم أشبه — أنا – هــذه السيجارة .. امتدت يدي إلى كوب الــشاي الراقــد أمــامي يتصاعد منه البخار الساخن .. إذ ذاك لفت نظــري الــشيء العجيب الذي لفت نظر كافة رواد المقهى وأغلبهم – مثلي – فقراء ..

كيان ضئيل .. لا تكاد تتبيَّن أفتى هو أم فتاة .. الــسَمْت الخارجي يوحي أكثر لفتاة .. ملامح وجهها انــدفنت تحــت أكوام من القذارة، شعرها ملبَّد أشعث كــرأس (ميدوسَّــا)، عيناها منكسرتان بأثر الزمن الذي نحياه .. ملابسها رثة بالية لا تكاد تستر الجسد الضئيل تحتها .. كانت الفتــاة تتمــرَّغ في التراب أمام المقهى بوقاحة .. تتلوَّى أرضًــا .. تــستجدى .. تستعطف .. تسترحمُ .. بلا جدوى أو عطف أو رحمة .. كلٌّ منــّا – نحن الجالسين على المقهى – في حاجة مثلــها دون أن تواتينا الشجاعة لأن نفعل مثلها .. إنها شحَّاذة متمرِّسة تحاول أن تسطو على ما في جيوبنا برضــائنا .. لكــن هيهــات .. هيهات.. نحن أحوج لتلك الجنيهات القليلة التي في جيوبنا من هذه الفتاة ..

بدأت الفتاة تنتقل لحركات أكثر عنفــًا .. العيون تتابعهــا لا لشيء إلا للفضول .. كأننا نتــابع عرضًــا مجانيًّــا .. مــا

الغضاضة في أن نستعمل عيونـــا نملكها دون أن ندفع مقابـــل ذلك شيئـــا ..

إلا أن اللعينة لم تيأس .. ونحن أيضًا لم نضعف .. يا له من إصرار عجيب تملكه تلك الشيطانة الصغيرة .. إنّهـــا مازالـــت تتلوّى.. تتمرّغ .. تدفن وجهَها في الوحل .. تبـــدى بلاهـــة مطلقة.. يسيل مخاط أنفها غزيرًا .. يتدلـــّى لـــسانها ليلعـــق شيئـــا وهميًّا لا نراه ..

حتى النادل .. تفرّغ لمشاهدتها مثلنا جميعًا ..

حالة من الصمت والترقب تملؤنا .. كففنا عن الكـــلام .. عن الشرب .. عن لعب الدومينو والطاولة .. حتى الـــسيجارة في فمي كادت أن تنتهي دون أن أسحب منها نفسًا جديدًا .. لقد أصبح شغلنا الشاغل هو مراقبة الفتاة ومحاولاتها المضنية لنيل قوتها .. الفتاة تحاول .. نحن نراقب.. جذب.. شد.. حركة.. سكون.. قوة .. ضعف .. لقد وقعنا أســـرى لهـــذه الكتلـــة البشرية الضئيلة .. ترى ماذا ينقذنا ؟ متى تيأس أو نضعف ؟ ..

ثم فجأة .. انتهى كل شيء .. لقد فزنا رغم كل شـــيء .. فها هي الفتاة وقد زادت نظراتها انكسارًا علـــى انكـــسارها تتحرك ببطء ململمة أذيال الخيبة .. حقـــا لقد كانت الفتـــاة

تستحق بعض الصَدَقَـــةِ نظيرَ ما قامت به من جهد .. لكـــن بالطبع ليس منـــّا فنحن للصدقة منها أحوج .. يا لها من بائسة مسكينة .. أشعر بتعاطف ما تجاهها .. وقليل من النـــدم، لأن أحدًا غيري لم يمد لها يد المساعدة ..

أخيرًا .. عادت لنا الحركة .. بعد تَحَلُّلِنـــَا من تأثير الفتاة..

أشعلت سيجارة أخرى .. رشفت رشفة من كوب الشاي البارد أمامي .. أصوات قطع الدومينو ونرد الطاولـــة تطـــرق آذاني.. لقد عدنا للحياة مرة أخرى .. لم يعد أحدنا ينظر جهة الفتاة كيلا تخونه نفسه .. النادل بدأ يتلقـــى الطلبـــات مـــن جديد.. شعورُ الحرارةِ عاودني، والشمسُ اســـتأنفت لـــسعتها لصلعتي كما لو أنها كانت منهمكة معنا منذ قليـــل في مراقبـــة الفتاة ..

هنالك تناهى إلى أسماعي – من بين كل الأصوات المزعجة حولي – صوت ضعيف واهن .. صـــوت بكـــاء ونـــشيج .. وحينما التفتُّ جهة مصدر الصوت .. رأيـــت الفتـــاة وقـــد افترشت الأرض غير بعيد عن مكانها السابق وقد انخرطـــت في بكاء مرير .. لماذا لم تتركنا هذه البائسة لحالنا ؟! لمـــاذا هـــي مصرَّة على أن تمزق نياط قلوبنا ؟! أنفاسي تضطرب ، عينـــاي

تغرورقان بالدموع ، المرارة تحتل حلقي ، داخلي بركان يغلي ، جسدي يرتعش ، نبضاتي تتسارع ، دون وعي مني وقفت .. يدي تعبث في جيب سروالي ، تصطدم بذلك الثقب الكبير في قاع الجيب ، يدي تنتقل جهة الجيب الأخر .. يتكرر الشيء ذاته .. أتذكر الجيب العلوي .. بيد مهتزة ، ونفس ملتاعة ، أبحث كالمجنون .. ماذا فعلنا نحن لنستحق تلك الجنيهات الشحيحة التي نضن بها على تلك المسكينة..

إنها تبكى ...

البكاء - رغم ضعفه - أصبح يصم آذاني .. بل آذاننا جميعًا..

افعلي أي شيء أيتها المسكينة .. أي شيء ..

إلا أن تبكي .. أرجوكِ لا تبكِ ..

أخيرًا ..

وجدت ورقة مالية - لم أدر من أي فئة كانت - في جيبي العلوي .. إنها النقود الوحيدة معي .. بأرجل لا تكاد تحملني أقترب من المسكينة .. تهتز يدي وهى تمتد بالنقود .. يعلو نشيجها فيزداد اهتزازي .. أرجوكِ توقفي ..لا تمزقيني أكثر من ذلك .. إن فؤادي ما عاد يحتمل أكثر من ذلك ..

وحينما فرغت .. وهممت بالعودة كان كل رواد المقهى ..
والنادل .. بعيون مغرورقة .. وأيدٍ مهتزة ..
.. يعبثون في جيوبهم .. بحثـًا عن شيءٍ ما!!!

المهدي المنتظر

أسكن في حارة — كالعادة - ذات بيوت قصيرة متلاصقة وأزقة متعرجة ضيقة .. هذه عنزة صغيرة يتجمع حولها عدد من الأطفال، وهذا طشت كبير مملوء بالماء وقطع الخبز الجاف اليابس لزوم أكل البط، أما هناك فترى دكان عم (أحمد) حيث ابتعت لتوّي علبة سجائري ..

وإذ أهُــمُّ بمغادرتها، لاحظتُ ذلك الجمعَ الغفيرَ ..الحارة كلها تقريبًا ..

اقتربت يغلبني الفضول ..

ولإشباع فضولي كان الأمر يحتاج لأكثر من الاقتراب، يحتاج إلى الاختراق.. صفوف عديدة من البشر .. كتلة واحدة التحمت لا تدرى كيف ولماذا.. أي هدف ذا الذي آلف ما بينهم وجمّعهم هكذا ..

فضولي العزيز .. هل من الممكن أن أتراجع الآن ؟

حسنًا..حسنًا.. تمهَّــل .. أعلمُ أن إنسانا قبلي لم يتغلــَّبْ على فضوله فلِمَ سأشذ أنا ..

بدأتُ مزاحمة المجتمعين مقتربًا من المنتصفِ، الرؤية تتضح أمامي تدريجيًّا.. في وسط الجمع تمامًا، وقف ذلك المخبولُ، خمسينيَّ العُمر أو ستينيَّ، بملابس رثة بالية متهتكة قذرة على شكل جلباب ما، شعره أشعث ولحيته كثة نافرة تحجَّرَ الوَسَخُ فيها، رائحته عفنة تصل أنفي تزكمه رغمَ بُعدِ المسافةِ .. عروقه نافرة نفوري منه .. لونه أسمر شاحب متسخ، ككل شيء فيه.. لون يخلط في مزيج عجيب ما بين ما يملك من أنيميا وما اكتسبته بشرته من وسخ .. فوق رأسه تلك الطاقية التي لا لون لها .. على أحد جانبيه حقيبة قماشية مزركشة، كتلك التي توضع فيها الأحجبة .. وبجانب هذا كله عقد كبير من الخرز الضخم يحيط برقبته ليبدو تمامًا كالمُختَــلــِّين عقليًّا ..

وإذ أنا أتأمله، إذا به يبدأ يتراقص في شكل هستيريٍّ مثير .. يرول الزبد بين شدقيه .. تَحوَلُ عيناه .. يخرج لسانه يلعق مجهولاً .. ثم يرفع طرفَ جلبابه .. لا يلفت نظري عريه ولا يلفت نظر المحيطين بي بقدر ما أسَرَنا ما كان يهتف به :

((يا بهائم .. يا أنعام .. فوقوا .. إصحوا ..)) جملة تخطف لـــُـــبَّـــكَ فورَ سماعها .. كم نعتنا أحدهم بما ينعتنا به الآن.. كم مرَّة أبدينا انتباهًا أو حتى اعترضنا اعتراضًا خفيفـــًا على مضض .. لم يحدث أبدًا .. وإذا حدث فإن رد فعلنا لا يتعدى مبادلة السَّابِّ سبابَه والاشتراك معه في مَسَبَّة كبرى بوحي من كرامة زائفة أو بدافع من غضب مصطنع .. ولكن أن يأتي السِّباب من مثل هذا المخبول،فالأمرُ حينئذٍ لا يتجاوز أن نأخذه على سبيل المزاح، ولربما يغدو الأمر حُدوتة قصيرة، نتسلى بذكرها إذا ما استدعت مناسبة أو عنَّ لنا حديث.. إلا أن ذلك لم يكن أبدًا رد فعل مَنْ حولي، إذ لم أجد فيهم إلا كلَّ أذن صاغية وكلَّ نفس مترقبة، مما دعاني إلى الاهتمام أكثر فأكثر بخطبة المخبول فينا ..

عاود الرجل حركاته وعبارته ذاتها.. مزيدًا عليها جملته الصاعقة : ((أنا المهديْ المُنتظرْ .. أنا المهديْ المُنتظرْ ..)) ثم استأنف سبَّنا ثانية وعاود خطبته .. الهمهمات المتصاعدة من الناس حالت بيني وبين تبيُّن كل ما يقولـــُـه، كذا لأن ليس كل ما يقوله مِمَّا يمكن تمييزُه .. إلا أن بعضًا من كلامه كان واضحًا..

واضحًا تمامًا ..

((امشوا ورايا للهدى والنور)) .. ((معايا تنجوا بأرواحكم من الضلال)) .. ((اوعوا تخلّـوا الشر يسيطر عليكم زي ما سيطر على العالم)) .. ((أنا المهديْ المنتظرْ)) .. وإلى ذلك من كلمات لها نفس المعنى واللفظ ..

عفوًا إنه ليس كالمختليـــن عقلـيًّا، بل من المختلين عقليًّا فعلاً..

ما لبث المختلُّ أن بدأ رحلته التي من المفترض أن يتبعه الناس فيها ..

أخذتُ أنظرُ حولي، لم أرَ أحدًا تبدو عليه علاماتُ الدهشةِ والاستغرابِ غيري .. بل و زادها ما سمعته من ردود الناس على ما يحدث ..

- هوّ هايحصل لنا إيه أكتر من اللّي إحنا عايشين فيه ..

- فعلاً الراجل عنده حق،إحنا عايشين كما الدواب، أيوة واللـــــه ..

- المهدي كلامه صحيح .. ميّة ميّة ..

- أنا هامشي وراه يمكن ربنا يبارك لي بحق وحقيقي ..

- وأنا كمان ..

-روحي اندهي العيال يا (شفيقة) خلـّيهم ييجوا معانا..

بدأ الجمع الغفير - في رحلته المُباركة - لتخليص البشرية من آثامها، متحركين خلف المهديِّ المُنتظرِ .. بينما أنا ما زلتُ غارقــاً في دهشتي واستغرابي ..

إلا أن ذلك لم يمنعني بالطبع ..

من اتــّباع المهديِّ المُنتظرِ مع كل المجموعة!!!



كان .. يا ما كان



فلمَّا كانَ الربُّ .. قد خلق العبدَ .. من حفنةِ أرض ..

ثم نفخ فيه من روحه .. فكان له شرف وعرض ...

فاستقام العبد أمام خالقه .. فقال الربُّ ..

يا آدمُ .. اسجد .. فعلى الأرض آدم أنكبَّ ..

فقال الإله .. الذي لا يوجد سواه..

المعبود .. وخالق كل الوجود ..

يا آدمُ ..

من التراب خُلقتَ .. وعلى التـُّـراب سجدتَ ..

وإلى التـُّـراب تعودُ ..

ثم من ضلع أعوج .. كانت الأم .. حواءُ ..

زوجًا .. يسكنُ إليها آدم متى يشاء ..

ثم كان أن وسوسَ الشيطانُ لهما ..

ومن شجرة المُحرَّمات .. التهما ..

فهبطا إلى الأرض من السماء ...

وكُـتِبَ على بني آدمَ ... إرث شقاء ..

برزت الشمسُ على صفحة الوجود .. ثم بث من أشعتها دفئــًا بلا حدود .. فاستيقظ (آدمُ) أفندي من نومه .. وتثاءب ليستقبل الجديدَ من يومه .. وقام فاغتسل .. فأفطَر فنزل .. ثم على المحطة استقر .. والأتوبيس انتظر .. ثم أخيرًا جاء الفرج .. فكان هرج ومرج ..

وتدافعت الجموع إلى الأتوبيس.. الذي أصبح كسوق الخميس .. واختلط الصغير والكبير والشائب.. كما الأنعام في الزرائب ... وانطلق الأتوبيس يرتج على صفحة الطريق .. والدُّخانُ يصَّاعد من مؤخرته كأنه حريق ... و ارتج الأتوبيس فجأة وتوقف .. فترجل منه (آدمُ) أفندي وتأفف .. وكعادته اشترى الجريدة.. وصعد الدرج بخطى وئيدة.. ثم كان أن استقرَّ على مكتب السيادة .. مستقبلاً فنجان القهوة السادة .. وفي سرعة أشعل السيجارة .. وزفر منها أنفاسًا حارة .. وبينما هو وزملاؤه تأهبوا لفتح المواضيع ..

إذ بمستخدم يطلب منه التوقيع.. ودون أن يستمع لما يُقال.. فتح درجه الشمال .. فلما استقرت العشرُ جنيهات الحمراء .. وقــّع على كلّ الأوراق بالإمضاء.. وهكذا يمضي اليوم ما بين جنيه واثنين وعشرة... و دونما ذلك لا يمكن له من عِشْرَة...

وبعد أن يوقع بدفتر الغياب .. تتكرر قصة الأتوبيس في الإياب.. وبعد أن يتناول مع زوجته طعام الغداء .. يتمدد على سريره إلى المساء .. ليستمتع بمشاهدة التلفاز أو الاستماع إلى الراديو .. أو لربما يشاهد فيلما على الفيديو .. وقد يبدو من ذلك أن (آدمَ) أفندي يحيا في سعادة .. وأن نصيبه من هذه الدنيا كثير من زيادة ..

إلا أن ضميرَ (آدم) أفندي لم يكن مرتاحًا أبدًا .. وكان يسهر ليله قهرًا وكمدًّا .. وتمنـــّى أن يبتعد عن المال الحرام .. حتى يستطيع في الليل أن ينام.. ويستغفر ربّه كل صباح ومساء.. فهو يقبل توبة القاتل والسارق والساقطات من النساء... وسيرضى حينئذ بما له قد قسم .. ويسير سيرًا مُستقيمًا كما القلم .. وكان أن رأى نورًا من بعيد .. فقرَّر أن يكون اليوم ميلاده الجديد ..

وما أن الصبح انبلج .. حتى توضّأ فصلـــّى فخرج ..

وما إن استقرَّ على مكتبه دون أن يشتري جريدة الصباح .. حتى أغلق أدراج مكتبه بالمفتاح.. فتهامس زميلان له وتغامزا.. وجزما أن جنونـًا لعقل (آدم) قد غزا .. وبيشر استقبل (آدمُ) العميلَ المنتظرَ .. و ما إن نالت الأوراق منه لمحة بصر.. حتى انقلبت سحنته .. ثم هبَّ من كرسيه وأظهر غضبته .. ثم أقسم ليأتين بالبوليس .. ليحبس هذا اللص خلف المتاريس .. فبرزت يد العميل بالمعلوم .. فسقط (آدمُ) أفندي على كرسيِّه وهو مصدوم .. فأدرك الزملاءُ من تلك السابقة الخطيرة .. أن مستشفى المجانين لـــ(آدم) مصيره .. وقضى أحدهم الأوراق نظير الفلوس .. وبعد مغادرة العميل جاء البوليسُ في تتابع مدروس .. وبالرغم من أن (آدمَ) حين أغلقَ أدراجَه كانت خالية .. إلا أن البوليس استخرج منها الأوراق المالية ..

وفى الحبس مع مغتصب النساء والسفاح وتاجر المخدرات الخطير ..كان مصير (آدم) نتيجة نوبة من استيقاظ الضمير .. وحينما تم التحقيق وانتهت الأمورُ إلى خير.. واكتُــفِيَ بنقل (آدم) الذي قرَّر الانتقام من الغير.. لذا حينما استقرَّ (آدمُ) الجديد..خلف مكتبه النائي البعيدِ..لم يكتفِ بفتح درجهِ الشمال للعملاءِ والمستخدمين ..

وإنما أزاد عليه بأن فتح درجَه اليمينَ ...

الزفـرة

بذهنٍ خاوٍ، وتفكير في حالة تجمدٍ مؤقتةٍ، كان ينظرُ للاشيءَ.. ينعكس ضوء المصباح على وجهه.. الكتاب غير المقروء مفتوح أمامه .. الصمت صمت القبور .. اللاحركة هي العنوان المناسب للمشهد العام.. كل شيء في انتظار مطلق كأنما الانتظار قد غدا هدفـــاً في حد ذاته .. في الأمر مهابة ما كأنما هنالك حدث جلل قد مضى أو سيأتي أو هو يحدث فعلاً دون أن نعيه.. وبالرغم من هذا لا يخلو من طرافة الخواء والذهول بلا سبب.. كل ما يحمله الجسد من لحم ودم وجوارح قد استحال ما بين لحظة وأخرى إلى حجر أصم .. صنم .. جماد .. مجرد شيء يحتل من الفراغ حيزًا يدل به على وجوده .. موت مؤقت..

واستغرقه الصمت أو هو قد استغرق في الصمت حتى بَدَا كما لو كان يركز ذهنه و يشحذ حواسه من أجل أن يصمت ويتمثل ذلك السكون المهيب .. لذا كان من المنطقي – بادئ ذي بدء – ألا يلتفت إلى ذلك الجسد الأسود الضئيل الذي سقط أمامه كأنما من كوّة في السماء أو لربما برز فجأة من بين سطور الكتاب المفتوح أمامه – مقتحمًا مجال رؤيته – لدوام حملقته في لاشيئه المثير ..

ولربما كان من المنصف حقاً أن نذكر أن الجسد الضئيل الأسود حينما سقط أو برز، كان ذلك على ظهره ..

عفوًا يبدو الأمر مبهماً الآن.. خاليًا من كل منطق أو مغزى ولكننا حين نعلم أن ذلك الجسم المتطفل لم يكن سوى أحد أنواع الخنافس، يكون لوجودها على ظهرها كل منطق ومغزى.. فهو يعني أن الحشرة تموت، إذ إنه على هذا الوضع لا تقوى على الحركة، على التنفس، الأكل، الشرب.. لا تقوى على شيء .. إنه موت بطئ ما لم تستعد سيرتها الأولى فتمشي على بطنها ..

الأمر لا أهمية له .. في الواقع .. لا يستحق ...

ولكن ..

منذ متى كان كل ما يلفت نظرنا ويشغل تفكيرنا ويستحوذ على اهتمامنا يحمل أهمية ما أو يحوز قيمة تفضّله عمّا سواه ..

ولربما كانت حالة الموت المؤقتِ التي تمثلها هي التي لفتت نظره إلى حالة الموت الوشيك التي تحدث أمامه .. ربما كان الخواء الذي يشغله هو الذي سَوَّل له أن يحوِّل نظره عن اللاشيء ويلتفت بكل مداركه جهة الخنفساء التي أصبحت تصارع الموت في سذاجة .. ركـــّز بصرَه ليرى تلك التجربة اللطيفة .. بالنسبة له طبعًا ..

الأرجل تتصارع مع الفضاء المحيط بها، كأنما تحاول دفع الموت بعيدًا عنها ..

الجسم يتلوَّى و يتثنى محاولاً العودة للوضع الصحيح ..

الحدث الجلل حدث، والذهن الخاوِ انشغلَ ..

تساءل كم مِنـــّا يتصارع مع فضاء؟! كم مِنـــّا يتلوَّى ويتـــثـــنـــّى محاولاً الوصول للوضع الصحيح ؟!

استهوته التجربة أكثر فأكثر ..

أصبحت الخنفساءُ أهم حدثٍ في حياته، بل في العالم، بل الكون بأسره .. الجلالة جلالة المعرفة والمهابة مهابة الموت ..

الحركة تزداد عنفـــًا لتتناقض في عنف مماثل مع السكون السابق .. تركيزه الشديد خيَّـــل له أن الخنفساءَ تستغيثُ به،

تطلبُ منه المساعدة .. زفرة واحدة منه ستعيدها على بطنها .. زفرة واحدة تفصلها عن الحياة .. ياللرخص .. الحياة تبعد بمقدار زفرة واحدة .. إنه حقـًا ثمنٌ بخسٌ يساوي الحياة فعلاً.. فكـّر كم تـُساوي حياتـُه وحياة أمثاله في هذا العالم ممن لا أمل لهم في الحياة الكريمة .. إنها تساوي زفرة واحدة .. زفرة واحدة تنطلق فلا تعود ثانية ..

الخنفساء مازالت تتقلـّص، تتملـّص من الموت، متـشبثة بحياة لا طائل منها .. تحاول قدر جهدها أن تعيش .. تناضل بغريزتها من أجل البقاء .. كم يحتاج هو إلى سبب وجيه يجعله يتشبث بالحياة هكذا .. لا وظيفة .. لا زوجة .. لا نقود .. لا سكنًا كريمًا.. لا... لا... لا.... لاءات عديدة مل عدها وإحصاءها ..

ما الذي يدفعه إذن لأن يناضل و يبقى ..

ما هو الأمل الذي يحيا من أجله ..

لماذا إذن مازال يتمسك بالحياة ؟!

توقفت الخنفساءُ عن الحركة.. أحسَّ غُصَّة في حلقه ، غصَّة مَنْ تَحضُرهُ وفاة أو يستشعر موتـًا قريبًا ..

لقد خذل الخنفساء .. كان باستطاعته أن يمنحها فرصة ثانية للحياة.. على الأقل يمنح الخنفساء فرصة الحياة .. ألا تستحق ذلك بعد كل ما حاولت .. كم يشبه - هو - تلك الخنفساء كثيرًا، فما الحياة التي يحياها الآن إلا تملُّصٌ، تَلَـوِيٌّ، تـثـنِّي، دفع بالأقدام والأرجل .. محاولة لدفع الموت بعيدًا .. نوع من المقاومة التي لا طائل منها .. إنّـه حقـًا .. خنفساء ساقطة على ظهرها ..

وهنا ..

ابتسم .. ابتسم في سعادة لم يعرفها قبلاً ..

لقد عاودت الخنفساء الحركة .. إنها لم تمت بعد ..

بيدٍ مرتعشة، و نَفَسٍ متهدِّج، وعينين ملؤهما الدموع ..

زفر في رفق ..

منتهى الرفق في العالم ..

زفر كأنما هو يزفر إلى داخله هو ..

ثم إن هي إلا ارتعاشة مفاجئة غمرت الخنفساء حتى استعادت وضعها الصحيح .. وفي سرعةٍ عجيبةٍ تحرّكت.. ابتعدت و لسانُ حالِها يلهَج بالشُّـكر والثناءِ ..

أحسَّ برضا نفس عجيب .. متابعًا الخنفساء بنظره في حنان.. لقد أصبح عليه أن يتمسك بالحياة الآن .. أن يحاول .. يتشبث للرمق الأخير .. الآن بأمل وهدف واضحيْن ..

أمل وهدف سقطا أو برزا من اللاشيء الذي كان يتأمله ..

من كوَّة في السماء أو من بين سطور الكتاب المفتوح ..

أمل أن تصيبه تلك الزفرة ..

التي تفصله عن الحيـــــــاة !!!!!

الساعة

دينج دونج .. دينج دونج .. دينج دونج ..

دقّت ساعة الصفر .. ضوء ساطع يخطف الألباب .. صيحة رهيبة .. رائحة خانقة .. فبرز ذلك المارد قادمًا من العدم حيث ينتمي .. حاملاً منجلاً لامعًا .. الرعب شمل أطرافي وقد حانت مني التفاتة إلى يديه اللتين لم تكونا سوى جزءين فقط من هيكله العظمي الكامل .. ارتفعت برؤيتي إلى عينيه .. إلى حيث لم يكن هناك سوى حفرتين سوداوتين لاستقبالي ..

التمعَ المِنجَلُ .. اصطبغَ بالأحمر .. تشنّجت اليدان الهيكليتان على المقبض .. والأسنان البارزة من الجمجمة عكست وميضًا داخليًا للمارد المتشح باللباس الأسود .. وبدا ذلك الرأس كأنه يتراقص تحت القلنسوة السوداء رقصة النصر .. وانتهى كلُّ شيء ..

للرجل العجوز الأصلع في الركن البعيد ..

لقد وقعت ضحية جديدة ..

****

لليالٍ طويلة ظلّ الماردُ المرعبُ يزورني في أحلامـــي .. ولم أكن أعلم أن لقاءً قريبًا معه هو ما قدِّرَ لي .. الدينج دونج التي تثير الرجفة في الأوصال .. ثم الضوء الـــساطع ، الـــصيحة ، الرائحة ، العدم يلفظ المارد ثانية .. أمام عينيَّ المتسعتين .. أرى المنجَلَ اللامعَ بنصله الحادِّ .. الحفرتان السوداوتان ترمقانني .. ماذا يعني هذا ؟! .. اللعنة !!

العرق يتصبب غزيرًا على جبـــيني .. الرجفـــة تـــسري في أوصالي.. قدماي أصابهما الشلل .. وثغري فاغر كأنه فوهـــة بركان خامل ضخم ..

ســــــــســــــــيـــــــــيوو ..

صوت المنجَلِ يشق الهواء .. عقلي عاجز عن اتخاذ القـــرار الصحيح .. المنجَلُ يتجه رأسًا ليحصد رقبتي .. دوامات سوداء تجول بخاطري .. اليدان الهيكليتان المتصلبتان ، دقـــات قلـــبي أسمعها، لا يدخل الهواء إلى صدري من فرط اللـــهاث، ريقـــي جاف وحلقي خشن وشفتاي مشققتان كأرض بور ..

الدقات المرعبة لازلتُ أسمعها .. الحفرتان .. اللمعة علـــى أسنان الجمجمة .. رقصة الرأس تحت القلنسوة .. ثم ..

انحنيت في اللحظة الأخيرة ، ليمرق المنجـــل الحـــاد فـــوق رأسي، بل هو مسَّ شعري فجزَّه عن فروة رأسي ..

أكادُ ألمح نظرات الغضب في الحفرتين السوداوتين .. ما زال ذهني عاجزًا عن اتخاذ القرار التالي للانحناء ..

وحينما كان المنجل يعاود الكرَّة .. وجدتني قد انقضضت على المارد الرهيب أريد لأسقط المنجل مـــن يـــده .. كـــان للمفاجأة وقع شديد فتراجع بضع خطوات للوراء غير مصدق – مثلي – ما أتيت من فعل .. وللحظة بدا كأنه يراجع الأمـــر برمته، مما أكسبني ثقة بالنفس ..

أدركت أنني في معركة لن تحسمها سوى كلمة النهاية ..

دقـّـاتُ الساعة صارت أشبه بالصراخ المتواصل .. ديـــنج دونج دينج دونج دينج دونج .. (في سرعة رهيبة)

كأنها طبولُ الحرب ..

يتجمع حشد كبير من الناس لمراقبة ما يحـــدث متـــهمينني بالخـــبل.. لكني من طرف بعيد سمعت تصفيقة .. ثم أخـــرى، فأخرى، فأخرى .. الجمع كله يُصَفــّـقُ .. يمتـــزج التـــصفيق

بدقـــّات الساعةِ .. العيونُ شاخصة والأنفاسُ لاهثة والكـــل يتابع في شبق ..

هجمت على المارد مرة أخرى، دفعني في قسوة ، ألقاني إلى الركن .. ثم هجم عليَّ ، تفاديته ، نصل المنجَل أصاب ذراعي بجرح عميق .. انقضضت على يده التي تحمل المنجل، أصـــابني بلطمة من يده الحرة أعادتني إلى الركن حيث كنت .. توقفت كي ألتقط أنفاسي، أستنفر كل طاقاتي، أستحضر كـــل مـــا أعرف، أضيِّعُ الوقت علــّه يمل فيعود إلى عدمه .. لم يحدث ..

جسد المارد كله يتـــــشنـــّجُ .. الحفرتـــان الـــسوداوتان استحالتا للون الأحمر البرَّاق .. ابتسامة ثقة تعلو الفم البـــارز، فاصطكت أسناني رعبًا ..

وفي لمحة كالبرق وجدتني أرضًا والمارد يجثم على صدري ..

لا أدرى كيف حدث ذلك ..

وفي لحظة كأنها انقطاع الكهرباء، صمت التصفيق فجأة .. فدقـــّت الساعة دقـــًا محمومًا .. أكثر من أي مرة سابقة ..

من حيث لا أدرى .. قهقهة مرعبة جلجلـــت في أرجـــاء المكان.. الجمع بدأ يتفرق كل منهم منصرف إلى حال سبيله ..

حاولت أن أقاوم مرة أخرى أخيرة .. لم أستطع ..

نصف ابتسامة على وجهي ..

بأزلية .. انتهى كل شيء .. وبسرعة !!!

السجين



ملامح جافة خشنة قدَّت من صخر أصمّ .. عروق نـــافرة تملأ صفحة الوجه .. تجاعيد زحفت إلى البشرة راسمة خريطتها الأزلية .. الشارب الكث النافر والذقن النامية غـــير المهندمـــة والفم الذي لا يفتر عن ابتسامة أبدًا والعيون المطفـــأة الفاقـــدة لبريق الحياة كانت علاماته المميزة ..

****

ترددت كلمة (إفراج) في عقله ألف مرة ومرة .. مصحوبة بالسلامات والأمنيات والأمانات الخاصة لزملاء زمن طويـــل ولـــّى من حياته يطويه الآن بـــلا أيِّ رغبـــةٍ في العـــودة .. (خليل).. (أحمد) .. (علي) .. (سمير) .. (إبراهيم).. آلاف أو ملايين من الأسماء مرَّت عليه أثناء سجنه الطويل .. الغريب أنه

لا يريد تذكرَ أيًّا منهم الآن .. لا يطيق صبرًا حتى يعود لبلده.. لأهله .. آن له الآن أن يتزوج رغم سنه الكبير ولن ترضى به سوى أرملة لها أطفال تريد أن تربيهم .. لقد تربَّى هو بما فيه الكفاية .. آن له أن يُربِّيَ هو أحدًا آخر .. إنه حتَّى لا يذكر اسمه كاملاً .. يذكر فقط (٣٧١٥٢٠) رقمه في السجن .. مجرَّد رقم .. كأنه شيء ما .. ملف .. مذكرة .. دوسيه .. لقد فقد كيانه البشرى بما فيه الكفاية .. عشرين عامًا كاملة ..

****

اهتزت السيارة (البيجو) هزة عنيفة .. فأفاق من ذكرياته وتأملاته ليتطلع حوله بعيون زائغة .. يرى الوجوه من حوله .. هل يعرفونه .. هل يذكرونه .. السائق قد وضع شريطًا في الكاسيت تخرج منه الأغاني الغريبة .. خشي أن يسأل عن المطرب أو المطربة - لا يعرف - كيلا يتهم بالجهل خاصة وأن كل من حوله كان يتمايل مع الإيقاع .. ويصفق مع الموسيقى..

أخرج علبة سجائره .. أشعل سيجارة وأخذ يتأمل دخانها وهو يختلط بالأدخنة المتصاعدة من سجائر الآخرين .. هل سيستطيع أن يختلط هم مرة أخرى .. كما يختلط دخان سيجارته مع دخان سجائرهم الآن ؟!

- (كفر ....) .. المحطة الجاية ..

إنه صوت السائق ..

يحس اضطرابًا في ضربات قلبه .. انفعـــال مـــا لا يـــدري كنهه.. أهو خوف أم شوق أم رغبة أم ماذا ؟! مَنْ سيكون في استقباله؟! هل سوف يرحبون به ؟! هل سيقبلونه مرة أخرى؟! هل يُقدِّرون ما فعل لأجلهم ؟! بل هل سيذكرون مـــا فعـــل لأجلهم ؟! هل ....

فرامل قوية .. استيقاف إجباري لشلال التساؤلات ...

أشياء كثيرة سريعة حدثت قبل أن يجد نفسه يحمل صُـــرَّة كبيرة خلفَ ظهره كأنها الماضي .. ويتجه بأرجل مرتعشة جهة البيوتِ التي يراها أمام عينيه كأنها سراب .. وهم لا واقع له .. الحقول الخضراء .. الأفق الأزرق .. الأصوات البكر .. لقـــد كاد ينسى كل ذلك .. أخذ نفسًا عميقـــًا قويًّا .. استبقاه في صدره قليلاً .. زفره في قوَّة .. أخذ نفسًا عميقـــًا أخر .. شاء لو تنفس كل الأنفاس التي حُرِمَ منها إبَّان غيابه .. ودَّ لو ألقى بنفسه في حضن أول جاموسة يقابلها .. أن يلتهم أول عـــود ذرة يراه .. أن يبلل يديه من أول ترعة ثم يتمرغ على شطها .. هنا بيت الحاج (رجب) .. وهنا بيت (ابن أبو الوفا) .. وتلك

الساقية التي كان يجلس عليها مع (سيد) .. وتلك هي شجرة الصفصاف الكبيرة عند مدخل القرية حيث اعتاد أن يكتب – حين كان يكتب – الخطابات لحبيبته (جليلة) التي لا بُدَّ تزوجت الآن وصارت أمًّا فجدة ..

كادت دمعة أن تفر من عينيه ..

****

تذكر المعلم (عاشور) ..

الرجل القوي .. المفتري ..

يغتصب أراضِ الفلاحين بالباطل .. ويقرضهم بالربا .. يأكل مال اليتامى .. يغش في البضاعة .. يماطل عند أداء الحقوق .. شخصية تحب أن تكرهها .. بجسمه الضخم وكرشه الممتلئة كأنما هي خزانة نقوده .. يمسك عصا غليظة كأنها عصا الحكم .. لا يمشي وحده أبدًا .. بل دائمًا يحيطه بعض من الأوغاد أتباعه ..

وهذا ما أنقذه ..

إنَّه يذكر الحادثة كأنما كانت بالأمس ..

المعلم (عاشور) قادم ليحجز على أرض أبيه لأنه تأخر في دفع الديون المتراكمة عليه .. والده المريض يستعطف

ويسترحم.. لا عطف ولا رحمة .. منذ متى أنبتت الأرض البور أي نوع من الزهور ..

العصا الغليظة تسقط فوق رأس والده .. الدم يغلي في عروقه وهو يعمل في الحقل .. لا يدري بنفسه إلا والفأس في يده .. عيونه حمراء بلون الدم .. الغضب الأعمى يغشى عينيه.. يداه المعروقتان تلمعان تحت آشعة الشمس .. والعرق قد تجمد على جبينه في تلك اللحظة التاريخية .. إنَّه البطلُ القادمُ من قلب الأساطير الشعبية ليُخَلِّصَ الأهالي من الكابوس المُرَوِّع ينهالُ بالفأس .. والده ما زال يستعطفُ ويسترحمُ .. وغدٌ من الأوغادِ يقطعُ عليهِ الطريقَ .. الفأس تلتحم بأم رأس الوغد التابع للمعلم (عاشور) .. الدم يتفجر شلالاً غزيرًا .. يداه تصلبتا على هذا الوضع .. لأول مرة يرى الذهول والرعب في عيني (عاشور) الوغد .. أمَا كانت تلك الضربة لتقع على أم رأسك أنت .. والده توقف عن الاستعطاف والاسترحام بعد أن شلته المفاجأة .. لحظة صمت طويلة عمت المكان ..

توقفت الطيور عن الزقزقة ...

والبهائم عن التهام العلف ..

الفلاحون عن جني المحصول ..

المرضعات عن تغذية أولادهن ..

الفتيات عن الضحك والمرح والجري خلف بعضهنَّ ..

وإن هي إلا صرخة واحدة .. ربما كانت أمه أو أخته ...

حتى استحال الكَفر بأكمله إلى منتدىً للصراخ والعويل ..

العرق البارد غمر وجه (عاشور) كله .. لقد رأى المـوت بعينيه من شلال الدم المتفجر من رأس تابعه .. فازدرد لعابه بصعوبة ..

وألم .. مثلي ..

وهاأنذا .. مرة أخرى ..

ألقي السلام على شاب مر بجواري .. لابد أنه لا يعرفني .. فقد كان صغيرًا وقت رحيلي .. المرأة تحلب البقرة بجوار منزلنا.. لا ريب عندي أنها زوجة أحد إخوتي الصغار .. أدخل المنزل تشيعني نظراتها المتسائلة .. أسمع صوتها يلاحقني .. لا أرد.. أود أن أرى والدي .. والدي المسكين .. أصطدم بأشخاص لا أعرفهم .. أشياء لا أحمل لها أي ذكريات .. ترى هل أخطأت المنزل .. هل خانتني الذاكرة إلى هذا الحد .. أين أهلي .. أين إخوتي .. أين تلك المصطبة في مدخل البيت ..

وأين ذلك الزير الضخم الذي اعتدت أن أروي عطشي من ماثه ..

وحينما استدرت متسائلاً ..

اصطدمت بتلك المرأة التي تركتها عند الباب .. علامات الغضب في عينيها .. تتساءل عمّن أكون .. تلك البلهاء تتساءل عمّن أكون .. أنا أخو زوجك .. أين هو ؟ أهو (سعيد) أم (شاكر) ؟!

ثم فجأة ...

ومن الباب المترل المفتوح ...

دخل رجل ضخم الجثة .. لا أعرفه ..

حوار سريع دار بين الرجل والمرأة عرفت منه أنه زوجها وأهما أصحاب هذا المترل .. اشترياه منذ أعوام بعد أن تركه أصحابه القدامى .. يالها من مفاجأة كالصاعقة ..

أين ذهبوا .. انطق يا رجل .. أين هم الآن .. ما هي أخبارهم .. ما هو مكانهم .. هل اشتروا ذلك المترل المطل على الترعة الذي لطالما رغبوا فيه .. هل أصبحوا يسكنون هناك...

• كلا ...

• كـــــلا ؟! ماذا يعني هذا المهرج ...

• لقد تركوا المترل والبلدة بأكملها و لم يعد أحـــد يـــسمع عنهم شيئـــًا ....

• ماذا ؟! هل جئت لتخبرني أنني فقدت أهلـــي .. أنهـــم تركوني هاهنا وحيدًا .. تركوا البلدةَ بلا عودةٍ .. لا بدَّ أنـــني أخطأت البلدة .. أخطأت المترل .. أخطأت أيَّ شيء .. سوى أنهم تركوني وحدي .. الغضب الشديد يتملكني وأنا أتـــساءل في مرارة ...

هل خرجت من سجن .. لأدخل سجنًا أخرَ ..

أين ذلك الـــ(عاشور) القذر الذي حطمني وحطم عـــائلتي وحطم كل شيء .. ها هو مترله الفـــاخر الكـــبير أراه علـــى البعد..

أقترب منه في تؤدة .. تشيعني النظـــرات المتـــسائلة .. أو اللامبالية .. لا أحد يرحب بي .. لا أحد يخبرني أيـــن ذهـــب أهلي .. أين هي عائلتي الآن .. أين هو مترلنا ..

لقد تغير كل شيء ..

عم (حنفي) البقال ..

أصبح اسمه الآن سوبر ماركت حنفي وأولاده ...

توقفت النسوة عن الخبز .. فقد أصبح هناك الفرن الآلي ..

الزراعة أصبحت عمل من لا عمل له ...

هناك من سافر دول الخليج .. ليبيا .. أو العراق فلم يعد ... من هاجر إلى المدن الكبرى ..

رغم كل ما أرى من مظاهر التقدم إلا أنني أحس إحساسَ من يمشي في خرابة .. بين شواهد القبور .. أرض بور .. أتنفس في صعوبة جبل رابض فوق صدري .. ترى أين هي الأرض التي سأعمل فيها .. أين هم الأهل الذين سأعيش بينهم.. أين هي الأرملة التي سأتزوجها .. أين هي الحياة التي سأعيشها ..

ليتهم أعدموني واسترحت ..

ليتني قتلت (عاشور) وأرحت الآخرين من شرّه ..

أصبحت الآن أمام مترله ..

بأصابع مرتعشة أضغط الجرس .. تفتح لي الخادمة .. تدعوني للدخول .. فأدخل .. ((- مين ؟)) .. جاءها التساؤل .. رددت بأنني صديق قديم .. جاءني (حمدي) ابن (عاشور) .. لقد صار رجلاً كبيرًا ..

رحب بي بلا مبالاة وهو لا يعرفني ..

أمر الخادمة بإحضار الشاي .. عادة مصرية ..

أشعلت سيجارة وأنا أتأمل المكان من حولي ... إنه لم يعد غنيًّا كما كان في السابق .. كآبة ما تشمل المكان كما تشمل كل البلدة .. وأنا أيضًا .. أخبرني (حمدي) أن والده مريض .. وهو يرقد مشلولاً بالدور الأعلى حيث يقوم فريق من الأطبـــاء والحكيمات برعايته .. إنه لم يعد المعلم (عاشـــور) القـــديم .. الرجل ذا السطوة والجاه والهيلمان .. لقد صار عجوزًا قعيدًا لا يَملكُ التحكمَ حتى في بولهِ ..

ياالحظي العثر .. أين (عاشور) القذر ..

مَنْ هذا الذي جئت لأقتله ...

إنه شخص ميت فعليًّا ..

أنا أيضًا ..

شخص ميت .. الآن ..

أين هي رغبتي في الانتقام الآن ..

لقد تجمدت كقطعة من الثلج ..

أجرجر قدميَّ في مذلة ..

مازالت بعض العيون تتابعني .. لابد أنها تسخر مني ..

لا أحد يذكرني .. لقد ضيعت عمري من أجل لا شيء ...

السجن أرحم من هذا المكان الكئيب ..

هناك أصدقائي .. زملاء عمري ..

(خليل) .. (أحمد) .. (علي) .. (سمير) .. (إبراهيم) ..

أين هم الآن ..

أذكرهم الآن جيدًا ..

أتمنـــّى لو أراهم مرة أخرى .. لا أطيق صبرًا حتى أعود إلى السجن .. مكاني الحقيقي .. منزلي ... بلدي .. وطني ...

لقد صرت غريبًا خارج هذا الحيِّز ..

(٣٧١٥٢٠) .. يا له من رقم جميل ...

• • •

حاملاً صرته الكبيرة خلف ظهره ..

بدأ يأخذ طريقة خارجًا من البلدة ..

لم يعد أحدٌ يشيِّعه بنظراته الآن ..

على الطريق ...

بدأ يتابع سيارات (البيجو) المنطلقة في سرعة ..

عـــلَّ إحداها تحمله إلى السجن ..

حيث يريـــــــــد ...



ابنـتها



تباطأت حبَّاتُ المطر وتثاقلت عـن الهبـوط .. العـصافير استكنت داخل أعشاشها .. وكفّت القطط والكلاب عـن الإزعاج والحركة .. الليل احتوى كل شيء بردائـه الموشـح بحبّات النجوم .. الجو البارد جمَّدَ كلَّ شيء بجلاله فهدأ الكون جميعًا أو ادعى الهدوء ...

من بين الضباب برزت .. الكائنة الوحيدة الـتي مازالـت خارج جحرها بعيدًا عن كل ما له صلة بالدفء وقرة الأعين.. الرداء الأسود لا تكاد تميزه عن رداء الليل .. والظهـرُ محنـيٌّ كعود أخضر في وجه ريح .. ملامحُها تنطقُ بـالفقر والـذل والهوان .. بقايا من التماعة عينين هي كـل مـا خلّـفته الدمعة التي انسالت على خـديها في صـمت .. خطواتها المُـتَـثاقلة تبعث داخلك إحساسًا بالرتابة والملل.. نموذج لأي عجوز فقيرة تتخيلها وبالرغم من أنك لا تعرف، إلا أنه مـن المؤكد أنك ستراها في نهارها تنتقل بين السيارات في إشـارات

المرور، تقف أمام المساجد بعد صلاة الجمعة ، تنتظـــرُكَ عنـــدَ باب الكليَّة يوم ظهور النتيجة .. وحين تراها ســتجد يــدها الممدودة ولَسانها الذي يلهج بالدعاء لك ولأهلك ولذريتك من بعدك .. رغم إنه لا أهل لك ولا تفكير لديك لتكوين ذرية .. إنها الاسطوانة ذاتُها التي لابد أنك تحتفظ بها في مكان ما داخل جمجمتك المكدودة .. وحين تراها .. ستجد يــدك – هــي الأخرى – ممدودة بأي نوع من المساعدة رغم أنــك نفــسك تحتاج إلى المساعدة .. نظرات عينيها تجذبك، تناديك، كمــا تفعل الندَّاهة في خيالات الفلاحين البسطاء ، كأنما هي أمُّــك قد أقبلت عليك فلا تملك لها سوى السمع والطاعة.. ترضــخ ذلك الرضوخ اللذيذ ثم لا تلبث أن تتساءل عمَّا كانت تعنيــه تلك النظرات .. هل كانت تستأذنك .. تستمحيك عــذرًا.. تدفعك دفعًا للمساعدة .. تخبرك أن عزًا ما ورخاءًا قــد رأتــه تلك العيون في يوم من الأيام ثم ما لبثت أن رأت وجهَ العُملــة الآخرَ المظلمَ .. فتدرك أن حال الدنيا التبدُّل، ولو أنَّها دامتَ لغيرك لما أتَــتك .. قد يكون كل ذلك مبالغٌ فيه .. وقد تمــرُّ عليكَ كما يمرُّ عليك العديد والعديد مــن الأشــياء دون أن يطرف جفنك أو يتحرك داخلك ساكن ..

كانت السيدة العجوز في رحلتها الطويلة علــى أقــدامها الهزيلة تتجه إلى كوخها الحقير وسريرها القذر .. لتتجرَّع مــن (الكوز) الصدئ، ولا تشبع من كسرة الخبز الجافة .. فتــهيل

فوقها هلاهل الأغطية .. ويمر الليل كما يمر أخوه وأخته من بعده .. لا الكون توقف لحظة ولا الحال تحسَّن درجة .. قد يدهشك الأمر في البداية حين أخبرك أن تلك المرأة العجوز، هي إنسان كامل يضج بالأحاسيس وينبض بالبشرية .. وأنها في تلك اللحظة بالذات، حين انسالت الدمعة الجافة على وجنتيها المُشقّقتيْن، كانت تذكر أعز ما جلبت إلى الدنيا .. تذكر ابنتها الوحيدة .. تلك الابنة التي تمردت على واقعها وحياتها ومعيشتها وأمها وكوخها وسريرها وكوزها وخبزها وهلاهلها كأبشع ما يكون التمرد .. لكنها مازالت بوجهة نظر أمها ابنتها الوحيدة .. العزيزة .. الغالية .. والابنة حين تمردت كان لديها كل الحق، فحتى الفئران - وهي الفئران - تستكنف أن تحيا تحت خط الحياة وأن تعيش أحط صور المعيشة .. وأن تكون أذل وأهون وأحقر خلق الله في الأرض .. هذا عن الفئران، فما بالك وهي الفتاة التي بدأ جسدها يتفجر بالأنوثة.. فصارت لها بروزات هنا وهناك لا تكاد تخفى عن الأعين .. ولها خدَّان قد تفجَّر الدم فيهما فأحالهما إلى ثمرتين ناضجتين .. كان الجسدُ الفتيُّ النابضُ بالحيويةِ والفتنة يغلي ويثور .. ينفث حِمَمًا ودُخاناً .. كل يوم يمضي ينفصل عن واقعه بمقدار سنة، حتى كان اليوم الذي تركت فيه الواقع الذي تعيشه لتصنع واقعها الخاص .. ولم يكن أمام الفتاة الراغبة في الحياة

سوى أن تهب الحياة لراغبي الحياة .. ولتجني متعتها كـــان لا مناص لها من أن تمتع الآخرين بدورهم .. فـــسلكت طريـــقَ دهس العِرض والشرف، لتدهس الألم والفقر والهـــوان الـــذي تجرَّعته الكأس تلو الأخرى ..

بالرغم من كل ذلك ..

إلا أن المرأة العجوز كان لديها الأمل .. كانت تعيش على الأمل .. أنَّه في يوم ما .. في ساعة ما .. في دقيقـــة مـــا .. في لحظة ما .. ستجد أمامها ابنتها الوحيدة .. العزيزة .. الغالية .. وحينئذ ستضمُّها إلى صدرها تحتويها .. حتـــى تُطهِّرَها مـــن ذنوبها .. حتى تعيدَها كيوم ولدتها .. حتـــــى تلـــتحمَ بهـــا فيُمسيَان كيانـــاً واحدًا لا تميز لهما فرقـــاً ولا تملـــك لهمـــا فراقـــاً ..

حينئذ ستدرك أن ما عاشت من أجله لم يكـــن وهمًـــا ولا سرابًا .. وأن رغبتها الشديدة في الحياة كان لها ما يبررها ..

وحينئذ لا يهم، أجل لا يهم، إن عاشت أو ماتـــت .. إن جاعت أو شبعت .. إن كسيت أو تعـــرَّت .. إن ســـرقت أو قتلت أو نهبت أو حتى بذلت كل غالٍ ورخيص في سبيلها ..

ولوهلة .. توقفت .. وحيث توقفت اتجهت ببصرها عالياً، إلى الدور الأخير من البناية التي تقف أمامها، إلى الشقة الوحيدة

المضاءَة بالبناية حيث الأصوات الماجنة، الأبخرة المشبوهة، الموسيقى الخليعة، الأضواء الحمراء .. كلها رأتها وسمعتها، ولا تعلم كيف رأتها أو سمعتها، أهي بعين الواقع وأذنها .. أم بعين الخيال وأذنها .. أم مزيج من هذا وذاك ؟!! وكما تعلقت عيناها ببيت المتعة تعلق فؤادها، بل تعلقت جوارحها كلها، فهاهنا .. وهاهنا بالذات .. اعتادت ابنتها الوحيدة .. العزيزة.. الغالية .. أن تقدم لزبائنها ما يشتهون، وأن ترتكب من الموبقات ما تخجل البشرية عن ذِكرهِ ، فاستعادت لحظات من الماضي البعيد .. حيث الابنة مازالت طفلة .. تلهو بضفيرتها المجدولة، تتلهّى ببقايا لعبة بين يديها وجدتها ملقاة هنا أو هناك .. تناهت إلى أسماعها ضحكتها الرنانة البريئة .. أجمل ضحكة على وجه الأرض .. تتقافز هنا وهناك ..

ترى كيف تلهو وتضحك وتقفز الآن ؟!! لابد أنها تغيرت كثيرًا ..

استأنفت السير وحين بلغت نهاية الشارع .. كان كل ما تتمناه — الآن – هو أن ترى ابنتها مرّة أخرى وأخيرة ..

ثم حدث كل شيء بغتة .. ومن بين دموعها التي بدأت تغالبها، وببصرها الذي أصبح ضعيفًا واهنًا، رأت سيارة بوليس تتوقف في صرير مزعج، الضباط يترجّلون وبسرعة

يصعدون .. صراخ وعويل .. رجال ونساء عراة، لا يغطي أجسادهم سوى الملابس الخفيفة أو الشفافة أو ملاءات الأسرَّة .. دقَّ قلبُها في عنف، وانهمرت دموعُها غزيرة .. فهي الآن أدركت أن أمنيتها قد تبخَّرت وذهبت أدراج الرياح .. فالابنة الوحيدة .. العزيزة .. الغالية .. لابد أنها الآن داخل السيارة مع زميلات لها ولابد أنهن جميعاً في طريقهن لقضاء حياتهن خلف القضبان .. أما كان حَريًّا بابنتها أن تبقى معها!! وأيّ حياة ولا حياة السجن!!! أما كانت تدرك أن تلك نهايتها ونهاية كل داعر!! تُرى .. أين هي الآنَ ؟!

فكرت لوهلة أن تعود أدراجها وتُلقي نظرة على ركاب سيارة البوليس .. إلا أنها أدركت أن قلبها سيتمزَّق أكثر لو أنها رأت ابنتها على تلك الحال .. فآثرت المُضيَّ في طريقها .. مُحَطَّمَة .. مُبَعثرَة .. مُهَلهَلة كأغطية سريرها .. والجرح داخلها الآن ينمو كوليد في أحشاء أمه، وفي حالتها هذه كان الجرح قاتلاً ..

لذا فإنها حين استمرت في طريقها لم تكن فعليًّا ترى أمامها ولا أدركت كيف استطاعت قدماها الواهنتان أن تحملاها مع كل ما كانت تحمل من همٍّ وأذى وحزن .. كيف هانت على الدنيا حتى تلطمها تلك اللطمة القاضية ؟! أما يكفي كل ذلك

ليحطم أعتى الجبال وأصلبها .. وأخيرًا وحينما تلمَّست بيديها باب الكوخ .. كانت أشبه بالجثة الفعلية ، تمشي على عكازين خشَبيَين .. وفي حركة أخيرة ، كأنها حلاوة الروح ، دفعت بيدها المكدودة باب الكوخ المتهالك .. وخُيِّل لها أنه من بين الصرير الصادر عن حركة الباب، قد سمعت صوتًا أشبه بالشهقة، لكن الظلام كان مُطبقًا وحالتها مضطربة لا تسمح لها بأن تستوثق من شيء، لكنها حين تحسست السرير لتلقي بنفسها عليه .. لم يكن هناك ذلك الملمس الخشن الجاف، ولا تلك الخروشة التي تبدو كما لو كانت صادرة عن كومة من أوراق شجر الخريف الجافة .. بل كان هناك كيان.. طريٌّ .. أملس .. ناعم .. دافئ .. رطب .. وكان هذا أكثر مما تتحمل – خاصة – حينما أضاءت لمبة الجاز المهتزة وتبينت من بين خيالاته المتراقصة خيالاً خاصًّا .. لجسد حيٌّ .. جسد امرأة .. يملأ وجهها المساحيق التي تشوهت بفعل الدموع، ومخاط أنفها السائل .. شعرها منكوش .. ثائر .. وملابسها متحررة شفافة .. لم تصدق نفسها أول الأمر، إلا أنها ما لبثت أن أدركت أن الواقفة أمامها هي نفسها ابنتها الوحيدة .. العزيزة .. الغالية ..

وانتـــزع الفتيلُ الأخيرُ .. لم تدرك هي هـــل صـــرخت أم بكت أم ضحكت أم ابتسمت أم فعلت كل ذلـــك جميعًـــا .. المهم أنها احتوتها في صدرها واســـتقبلت دموعهـــا في نـــشوة وفرح، وحين اختلط بكاؤهما كان الـــصرير الـــصادر أشـــبه بسيمفونية لها ألحان سماوية بديعة .. وحين ضمَّـــتها في شدَّة، كانت تريد أن تحقق كل خيالاتها الـــسابقة .. مـــن الـــتطهير والاحتواءِ ويوم الولادة .. أدركت بعد ذلك أن ابنتـــها قـــد هربت قبل أن يقبض عليها البوليس الذي لابد يبحث عنها في كل مكان، وإن عاجلاً أو آجلاً سيجدها .. إلا أن ذلـــك لم يكن ليُهمَّها الآن ..

لقد تحققت أمنيتها الوحيدة والأخيرة، وستعيش كل أيامها القادمة سعيدة .. ولسانها يلهج بالشكر لله .. إنها الآن راضـــية كل الرضا ...

بابنتها الـــوحـــيـــدة ...

الـــعـــزيـــزة ...

الـــغـــالـــيـــة ...!!





أولاً: صعـوداً ..

لم يجد عملاً للمرة الألف .. وبعد الظهر قابلها .. قالت ((حبيبي لا نستطيع الزواج الآن أو بعد عشر سنوات)) .. سكت وألجمته كلماتهـــا..تابعت ((العريس الذي تقدَّم لخطبتي أمس جاهز من كل شيء وأهلي يُصِرُّون عليه وأنا لا أجد عيبًا فيه يُمَكــِّنُني من رفضِه)).. أشاح بوجهه بعيدًا، فسألته بصوت يقطر عذوبة ((حبيبي .. ماذا أفعل ؟!)) ..

دون أن يلتفت إليها غمغم ((اقبلـــــــــــيه)) ...

أولاً: هـبـوطـاً ..

تساءل في سذاجة عن الأسمال البيضاء التي تحوطه وتُقَـــيِّدُ حركته .. ورغم الظلمة ورائحة الرطوبة والعفن .. إلا أنه لاحظ شحوب وجهه وانعدام بريق الحياة من عينيه.. في رعب.. بدأ يفهم ما هو فيه .. إلا أنه الآن لم يبالِ .. فقد انتهت كل همومه .. إلى الأبد .. لحظتَــــئذ – ومن شلال سلسبيليٍّ خفيٍّ – أحس راحة نفسية غريبة داخله .. فاستسلم لها ..

مــــســــتــــلــــذاً ..

ثانياً: صعوداً ..

الضابط الممسك بجواز سفره ((هجرة .. أم عمل ؟!)) .. كان السؤال مُفاجئــاً .. وللمرة الثانية يعجز لسانه عن فن المخاطبة .. فتابع الضابط قائلاً ((لا أدرى ما الذي يجعل الشباب أمثالكم يتركون وطنهم المحتاج إليهم وقت الشدة .. لو كان الأمر بيدي ما وافقت على سفر أيٍّ منكم .. أنت مثلاً.. لماذا تسافر ؟!)) ..

نظر إلى الأرض مطرقــاً وقال ((غربـــــة...))

ثانياً: هبوطاً ..

الأمرُ بحقٍّ ممتعٌ .. ممتعٌ جدًا ..

يرى أوّل وجهٍ مألوفٍ لديه ..

وجه أخيه وفى يده أوراقٌ مالية حمراء، أخذ يوزع منها هنا وهناك .. يا لها من مشاعر فيَّاضة .. لن يتساءل أين كانت من قبل .. أصوات صراخ وعويل .. نسوة متــشحات بالــسواد لايعرف أيهن ينـــدبن ويولـــولن ويـــذكرن محاســـنه .. ثم .. ((وحدووووه)) .. ((لا إلاااه إلا اللااه)) .. ((حـــااى)) .. ((هوّه الدايم وحده الدايم ولا دايم غير الله))

ثالثاً: صعوداً ..

تشمَّم رائحة النيل في نهر مشابه .. وتحسس هواءَه الرطب النديَّ في نسمة هواء رطب داعبته .. وحين رأى شابًّا يغازل فتاته أحس زورقـاً نيليًّا بمجدافين يضمهما .. كان طعامه الأساسي هو الفول المُعَلَّبُ .. سماعُ أغنية مصريَّة بمثابة الكنز بالنسبة إليه .. وحين يشترى جريدة من الوطن يقرأ كلَ سطر فيها .. حتى صفحة الوفيات .. وبعد أن يفرغ منها يتغطَّى بها مؤملاً أن تتسرب كلماتها داخله وتقتل غربته .. لكنها أبدًا لم تفعل .. ولسانه يلهج بالحنين في كل موضع ..

ثالثاً: هبوطاً ..

الوجه المألوف الثاني يراه.. أخته الكبيرة تتحدث مع أخيه.. من مكمنه آلمه ما كان يسمع .. فقد كانا يتساءلان عن مقدار ما سيرثانه منه .. فقد عمل غريبًا لسنوات طويلة .. لابد أن لديه مبلغـاً وقدره .. ودَّ لو قهقه حتى أسْمَعَهم .. هؤلاء الحمقى يظنون أن لديه ثروة .. هأ .. هأ .. هأ .. هأاااي .. لا يدرون أنه يا مولاي كما خلقتني .. وأن ثمن ترحيله إلى وطنه كان قد جمعه بعض من المصريين زملائه .. يا لها من تسلية مشاهدتهم هكذا .. تسلية حقـاً ....

رابعاً: نهاية الصعود ..

تـــمرمط .. تبهدل .. تـــمرَّغ في الوحل .. بدل المرة ألف مرَّة ومرَّة .. صارت أمنيته في هذه الدنيا أن يدبِّر مبلغـــاً ماليًّا يعيده إلى مصر .. حيث الأهل .. والأصدقاء .. والوطن .. انحدر إلى أحطِّ الوظائف .. مسح وكنس وغسل الصحون وأشياءاً أخرى .. لو كان أنثى لتاجر في جسده .. الضمير والشرف أشياء تقتلها الحاجة .. وهو محتاج .. محتاج حقّـــاً .. محتاج لمرة أخيرة تقع فيها عيناه على شمس مصر .. إلا أنه لم يفعل .. لأن القدر لم يمهله ....

أخيراً .. بل أخيراً جداً: النهاية ..

أصوات غريبة تطرق أذنيه كأنها أظفار تخمش أو معاول تحفر .. لا يدري .. الوقت ليل والظلام أدهم ورائحة الموت من كل جانب .. القمر مغادر في مهمة أخرى .. والأصوات تقترب أكثر فأكثر كأنهم ينبشون الأرض بحثـــاً عن جُـــثّته .. وحين اختلطت ظلمة الليل بظلمة القبر الذي يرقد فيه أَدَرك أنهم قد وصلوا إليه .. حاول أن يقاومهم إلا أن الأسمال البيضاء قيَّدته .. حاول أن يصرخ إلا أن حنجرته لم تستجب لأوامره .. أيد قويَّة تتناوله في حزم .. وبصعوبة شاهد رجلاً — لم يتبينه — يقبِّض بعضًا من الأوراق المالية الحمراء إياها ثمنـــاً لجـــثّـــته !!!


المحطة



كان الجو حارًّا جدًّا والرطوبة خانقة..لزوجة تحتويني، وعرق يغمرني، ينسال عن جبيني ووجنتي .. غبار كثيف يكسو كل شيء بطبقة منه .. أنفي مزكوم بروائح الطريق التي هي خليط من عوادم سيَّارات لزيوت تشحيم لعوالق بشرية منذ زمن سحيق لأرواث حيوانية لروائح أخريات غير مسماة .. والدنيا زحام كأنما هو يوم الحشر أو كأن كل ما أرى حولي من بيوت ومنازل هي محض خواء لا بشر فيها .. فكلهم ها هنا حولي .. على محطة الأتوبيس ..

نظرت في ساعتي للمرة التي لا أذكر رقمها وتأففت للمرة الأكثر كثيرًا من تلك التي لا أذكر رقمها .. ثم تململت للمرة التي هي حاصل مجموعهما معًا.. كلُّ ما أعرفه هو أنني صائم..

وأقصى ما أتمناه هو سرير يحوي جسدي المكدود حتى يؤذن ((اللهُ أكبَر)) ..

في محاولة من الجانب العقلاني من عقلي، لتمضية الوقت، أخذت أسلي نفسي بمراقبة صنوف الناس – التي تشاركني الظروف ذاتها – في علــوٍّ وترفُّــع وأفلاطونية لا مبرر لها لكأنما أنا خارج الصورة أو لكأن طقسًا مغايرًا يلفني من دونهم.. إلا أن ذلك لم ينقص من نظراتي للساعة وتأففاتي وتململاتي شيئــًا .. الأتوبيس لم يحضر بعد .. الحرارة والرطوبة واللزوجة والعرق الغزير والغبار وأنفى المزكوم والزحام كما هو .. والوقت يمر.. وطأة الصيام تزداد وكدّي يتضاعف وضيقي من كل ما يحوطني يتكاثر .. الآن تحورت أمنيتي لتكون السرير فقط .. وليس أوان الآذان .. فقدت جزءًا من أمنية في سرعة شديدة !!

في محاولة أخرى من ذلك الجزء الذي لا قيمة له من عقلي – الجانب العقلاني – بدأت أتشاغل بمراقبة السيارات في الطريق .. تطوَّرت المراقبة إلى حسد لهؤلاء الذين يركبون السيارات الواحد تلو الأخر .. فهم الآن في سبيلهم بكل تأكيد إلى أسرَّتِهم حتى يطلق سراحنا نداءُ المؤذن... ثم تطوَّر الأمرُ أكثر فصرت أحسد هؤلاء المرفهين حولي ممن يسكنون في

مناطق قريبة لأنهم سريعًا جدًا سيتخلصون مما هم فيه .. أصبحت أراقب وأحسد في آلية مَنْ تحوَّل إلى آلة للمراقبة والحسد.. كل أحاسيسي الأخرى أصابها الشلل .. أو بالأحرى الصدأ ..

إذ ذاك .. توقفت تلك السيارة أمامي في مؤخرة صف طويل من السيارات منعته الإشارة الحمراء من المضي .. داخل السيارة .. كانت تلك الطفلة .. أربع سنوات لا تزيد .. لابد أنها أجمل طفلة رأيتها في حياتي .. شعرها كستنائي لامع .. ابتسامتها متألقة، لا ريب عندي أنها هكذا دومًا .. نظراتها شقية ضاحكة .. بشرتها بيضاء تشوبها حمرة سببها الحرارة .. نظرت لي مباشرة .. في عيني .. ولكني لم أملك أن أغير من الإجهاد البادي على وجهي شيئًا.. فضحكتُ .. فضحكَتْ .. ثم خبَّأتْ وجهها الصغير بكفيها الدقيقين .. فأخذتُ أحرِّكُ حاجبيَّ ألاطفُها.. غمزَتْ لي بعينها .. فغمزتُ لها.. وأرسلتُ لها قبلة عبرَ الأثير .. في رقة أعادتها لي.. فأحسست سعادة لا مثيل لها .. وتمنيت لو ركبت مع هذه الطفلة .. أو ترجلت هي من السيارة لتشاركني انتظاري ..

ثم فجــــأة ...

تحرَّكت السيارة .. ككل شيء جميل ينتهي سريعًا ..

لوهلة أحسست قلبي ينخلع .. أحسست بضيق مفاجئ ...

زامت هي بحاجبيها .. إلا أنها عادت ترسل لي تلك الابتسامة الساحرة .. فابتسمت لها وأنا ألوّح بيدي .. فأخذت تبتعد وقد برزت من شباك السيارة وهى تلوح لي في سعادة ..

فوجـــــدت أمامي الأتوبيـــــس ..

فجـــــأة ...!!

تمساح النيل



((ما أنت إلا عابر طريق ...))

هكذا رُدِّدَت العبارةُ داخلي والقرية تختفي ورائي بينما الطريق تلتهمه الحافلة التي أستقلها، والشمس – كأنها الحقيقة – تتوارى خلفي، وخلف الأفق البعيد الذي احتلته كتل من الغيوم الرمادية، التي لم تكن موجودة من قبل .. أخذ عقلي يسترجع كل الأحداث بدقة منذ وطأت قدماي أرض هذه القرية .. إحدى قرى الجنوب المطلة على النيل .. الوجوه سمراء شاحبة .. شعور ما بعدم الارتياح يراودك إزاء احتفائهم بك وكرم ضيافتهم لك..

هناك قابلت (الحاج مسعود) رجل قوي له نفوذ عجيب يقطن تلك الربوة الجميلة المطلة على النيل (خبط لصق) .. الرجل كهل عجوز، متغضن الوجه والجسد، ظهره محنيٌّ

مستطيل .. يتوكأ عصا من الآبنوس الأسود .. وبالرغم من كونه يرتدى جلبابًا قديمًا .. إلا أنه كان نظيفـــًا .. يعتمر بكوفيَّة صوفيَّة رمادية اللون، ويرتدي طاقية من نفس لون وقماش الكوفية .. عيناه منخفضتان نحو الأرض ولكنهما لامعتان بشكل عجيب .. سمعت من أهل القرية أنه رجل طيب وصالح وقد أقام بيته على النهر تمامًا حتى يتمكن من أن يحمي أطفال القرية من التهام التماسيح لهم، وهم لذلك يعطونه بعض المال أو الطعام أو الملابس .. أي شيء تجود به نفوسهم الطيبة وطبيعتهم السمحة الكريمة ..

كان ما أسمعه غريبًا على آذاني .. فتلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن تمساح نيلي يلتهم الأطفال .. ثم هل هذا الكهل العجوز الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الأذى، قادر أن يمنع الأذى عن أطفال صغار لا حول لهم ولا قوة ؟!! إن العكس لأقرب إلى عقليتي وإيماني .. وابتسمت على استحياء لطرافة التخيل .. ولكنني عزوت ذلك إلى كون أهل القرية من الناس الطيبين وأن تلك هي وسيلتهم لمساعدة العجوز وأن قوته ونفوذه نابعة من كونه كبيرهم وأحقهم بالاحترام والتوقير ..

ثم قابلت أيضا (حسنين) - خادم (الحاج مسعود) - ثور في هيئة إنسانية .. كان رد فعلي الأول هو تفاديه ومحاولة عدم التعرض له أو عدم رؤيته وجهًا لوجه على الإطلاق، إلا أنني

عندما علمت حقيقته احتقرت نفسي لخوفي منه وتهيبي من لقائه بادئ الأمر .. فـــ(حسنين) يتيمٌ متخلفٌ عقليًّا .. له جسدُ ثور ولكن له روحُ حمامة .. وهو يخدم (الحاج مسعود) قدر استطاعته .. و(الحاج مسعود) يعامله كما لو كان ابنـــًا فيطعمه ويكسيه ويجود عليه مما يجود به أهل القرية الطيبون .. وسمعت أيضًا أن (الحاج مسعود وحسنين) هما مبروكان من الإله .. وأن أي إساءة إليهما أو التأخر في الجود عليهما يعرِّض صاحب ذلك إلى التهام تماسيح النيل لأطفاله، كما لو كانت عقوبة الإله لعدم الاهتمام بأوليائه الصالحين على الأرض .. ولا أخفي أمرًا حين أقول إن ذلك أسرَى في جسدي قشعريرة وركَزَ في أوصالي خوفـــًا مبهمًا .. ولكنني سرعان ما قلت لنفسي إن ذلك ما هو إلا تبرير الأهالي لغرق أطفالهم مثلاً، أو أن هذا حافز ما كيلا يتأخر أحد في مساعدة (الحاج مسعود) وخادمه ..

كنت آنذاك جالسًا في ظل شجرة وارفة، ألتهم بعضًا من ثمار البرتقال، حينما لاحظت تجمهُرًا كبيرًا بالقرب من بيت (الحاج مسعود) وعلى عجل تركت الثمرة التي في يدي، واستغنيت عن موقعي اللذيذ تحت الشجرة الوارفة لأنضم إلى الجمع، حيث وجدت أبشع منظر تقع عليه عينا إنسان، جسد بريء ضئيل لا حول له ولا قوة مسجى مضرج بدمائه ..

كانت الجثة ممزقة مشوهة .. ناقصة .. مدمرة الملامح ..

ومن قلب التجمع اندفعت امرأة متشحة بالسواد وأسمعتني أبشع صرخة يمكن أن يصرخها إنسان .. كما لو كانت هي التي تمزقت وتشوهت ودمرت وأدميت، بل أكثر من ذلك .. فالطفل البريء ابنها الوحيد .. كان في السابعة أو الثامنة .. كما فوجئت بأحد الواقفين ينفجر في بكاء عنيف يمزق نياط القلوب ويمس أحاسيسك الداخلية مثيرًا زوبعة لا تهدأ من تساؤلات حول ما يمكنه أن يبكي هذا الرجل البادي البأس والشدّة والفقير الحال والمظهر، والسبب ليس ببعيد بالطبع فها هو يرقد وقد خبا نور عينيه .. بينما نظرات عتاب ساخنة ألقتها الأم المكلومة نحو الأب الباكي .. وبينما الناس تضرب كفـًا بكف إذ أبصرت على البعد (الحاج مسعود وخادمه حسنين) يقبلان في بطء شديد .. بدا لي المنظر بأكمله كلقطة من أحد أفلام الرعب ، حيث الضحية طفل بريء لا دخل له والمتهم تمساح نيل لم أره حتى الآن .. والكهل الضعيف الموكل بالحماية قادم في بطء، كبطء موت زاحف ..

أخيرًا وصل (الحاج مسعود)، فأفسح الناس له طريقـًا بينهم وارتمى الأب وتمرغت الأم تحت أقدامه وخرجت الكلمات من أفواه الجميع لا معنى لها أو طائل .. الشكوى ترتفع .. ولكن لا يوجد ما يرد الطفل إلى الحياة .. الاعتذارات تنخفض .. ولكن التأخير في الجود والعطاء هو السبب، كان

الأب مريضًا .. فلتأت الأم بالجود .. كانت الأم مشغولة .. إنها عقوبة الإله إذن ..

انفضَّ الجمعُ تاركــًا إيَّاي واقفــًا أمام الأم والأب والطفل الشهيد ..

أحسست فجأة بلهيب الشمس ووطأتها على رأسي .. جسدي يهتز .. والغضب يعتمل في داخلي .. البركان الثائر في صدري يغلي ويفور فأنفث حِمَمًا، الدم يتصاعد إلى رأسي فيزداد اهتزازي واضطرابي، الثأر يعصف داخلي كإعصار مدمر.. انحدرت على خدِّي دمعة ساخنة ملتهبة متسائلاً لو كان التمساح هو السبب فلِمَ لَمْ يلتهم كل الطفل الصغير ؟! لِمَ ترك لنا جزءًا منه ؟! وتركنا نحن لغضبنا وأحزاننا، الطفل طفلي الآن، والأب والأم هما أجزاء مني .. التمساح المزعوم خصمي إلى يوم يبعثون .. ليلتهم التمساح (الحاج مسعود وحسنين) بل والقرية كلها ولكن ليس هذا الطفل الصغير ..

الأمور واضحة في رأسي صافية كالبلور .. وكذا في رأس الأم والأب .. الحقيقة ثقيلة كما لو كانت حجرًا كبيرًا .. أبتعد عن المنظر البشع الذي سيلتصق بذاكرتي فلا يتركها .. قدماي تسيران دونما أمر مسبق من إرادتي .. أصرخ بالحقيقة فلا يريد أن يصدقني أحد .. الحرارة خانقة والجو لا يطاق

وروائح العفن والنجاسة تندفع اندفاعًا إلى أنفي .. أمتنع عن الشم .. عن التنفس .. الرائحة تزداد قوة واندفاعًا، الحقيقة تخنقني .. ويخنقني أكثر أني غريب لا حق لي هنا .. لا حول لي أو قوّة، تمامًا مثل هذا الأب وهذه الأم ..

مدفوعًا بقوة من باقي أهل القرية الذين أوعز لهم (الحاج مسعود) أني نذير شؤم عليهم وعلى أولادهم .. أستقل الحافلة المغادرة ..

أتمنى لو كنت – حقــًا – تمساحًا نيليًّا ..

فألتهم (الحاج مسعود) ... وخادمه ...؟!!

مخلوقات عنيفة

- ١ -

كنت عائدًا للمترل ذات ليلة ..

منهك القوى .. خائر العزم .. اليوم قد نال مني فلم يُبقِ شيئًـــا .. نعل حذائي ذائب .. وقدماي شملتهما القروح والالتهابات .. نسمات صيف تهب على استحياء كأنها تخشى على الجو أن يتلطف .. أعمدة الإنارة أغلبها مطفأ والمتبقي منها يذوي ويحتضر لا يكفى لإضاءة الجزء الضئيل من الفراغ المحيط به فيكتفي بإلقاء الظلال المرعبة هنا وهناك .. ومن بينها ظلي الذي أخذ يهتز أمامي كما أنا شخصيًّا .. ولا يعدم الأمر سيارة - تحمل بعض المرفهين والذاهبين للأنس والفرفشة -

بأضواء إنارتها القوية الشابة الفتية .. قوية للدرجة التي تمنح بها ظلي الباهت المهتز قوة فجائية فيأخذ يتعملق ويتعملق فيناطح هامات المباني الشاهقة التي تحيط بي تراقبني .. يتعملق للدرجة التي يمنحني فيها شعورًا زائفـــًا بأن تلك العملقة نابعة مني أنا.. ثم لا ألبث أن أفيق من ترهاتي حينما تتجاوزني السيارة .. إذ يعاود ظلي الاهتزاز والضعف والضآلة، بينما أعود أنا إلى ما كنت عليه من تعب وشقاء وتعذيب لحذائي وقدميَّ ..

مُسليًا نفسي بالوضع الحالي .. والشوارع التي تبدو لي نظيفة الآن على غير ما تظهر نهارًا .. يقولون إن النهار له عينان، يبدو أن الليل يفتقدهما .. أتطلع في فلسفة لما يحوطني .. المباني الشاهقة .. كتابات الأطفال الغير واضحة عبر الإضاءة الخافتة على الأسوار .. القطط الضئيلة التي تموء بين الحين والأخر .. تحمل لي أذناي بعضًا من نباح لكلاب ضالة أصبحت تعاني مثلنا – نحن الآدميين – صخب الحياة وعنفها .. فلا تملك سوى النباح – هي أيضًا – بين الحين والآخر .. كأنما تريد لتذكرنا أنها مازالت موجودة حتى لا تحال إلى ما أحيل غيرها نحو طي النسيان ..

تجاوزت الآن منطقة المباني الشاهقة .. والسيارات المرفهة وبدأت في الاقتراب من حارتي التي أسكن فيها .. حيث استقبلني صخب المساء في الحارة .. نداءات بائع الكشري

اللحوحة .. بعض الضحكات والقهقهات المنتشية على المقهى الذي يحتل صدارة حارتنا .. وأصوات أخرى كأنها صدرت من زمن سحيق لتصلنا الآن .. بالضبط كضوء نجم بعيد ذوى واندثر .. بينما لا يزال يملأ سماءنا الآن - إذا رأيت السماء - ضوءاً وضياءاً .. أتجاوز المقهى الآن .. فيتراءى لي منزلي المتهالك مثلي .. نفس البيت القديم البالي بأدواره الأربعة وبوابته الحديدية الصدئة التي لا تلبث تصدر أنينــاً كأنين الاحتضار ..

أتأهب للصعود ...

ألمح صبيَــين يتعاركان ...

يخرج أحدهما مطواة قرن غزال يهدد بها صاحبه .. يطالبه بالجنيهات الخمسة التي يدينه بهنَّ .. يخرج صاحبه مطواة مماثلة.. يشتبكان كأنهما في صراع للديكة ..

يسقط أحدهما مضرجًا بدمائه .. يهرب الأخر ..

لا يتحرك أحد لنجدة المصاب أو القبض على الجاني ...

بينما أصعد أنا إلى شقتي ..

كانت زوجتي جميلة ذات يوم ..

وحين تزوجتها كانت شعلة من النشاط والحيوية ...

نموذجًا لما تمنيته طوال عمري ..

كانت حقــًا فتاة أحلامي ...

ولكن يبدو أنها لم تعد كذلك ..

ربما لأنه لم يعد لدي أحــلام ..

ولجت الشقة في هدوء خشية إيقاظها .. وسرعان ما حدثت المفاجأة التي كنت أتوقعها ..الأضواء أنيرت .. صوتها يعلو فجأة كجرس للإنذار يطرق أذنيَّ .. يصلني الصوت ذاته الذي كان يشجيني ذات يوم ... كلمات التأنيب والتوبيخ – لا بد أنها كذلك – أسمعها دون أن أعي معناها .. صرت آلة للاستقبال لا الفهم .. مستودع لكلمات لا يربطها فكر أو منطق .. بالرغم من محاولاتي الجادة للدخول في مناقشة من نوع ما .. إلا أنها باءت بالفشل فتحول الأمر إلى ما يشبه تلقي النصائح من أب أو أم أو أخ كبير .. الأمر الذي لا يخلو من تقريع وإيذاء .. حاولت أن أعتذر ... بكل صدق حاولت ..

إلا أن كل ما تمخضت عنه كان بضع همهمات لا تفسير لها - لدي على الأقل - إلا أنها بالنسبة لها كانت تعني الاعتراض، مما زاد الطين بلة ... حينما بدأت استيعاب الأمر كانت تتناهى إلى أسماعي كلمات مثل ..

المرتب - فتذكرت أنني قبضت مرتبي اليوم ...

أمي - فتذكرت أنه كان لدينا موعد لتزور حماتي ..

أخي - فتذكرت أن أخاها كان يريدني في موضوع هام...

الأولاد والمدرسة والبيت ....

بدأت أفقد استيعابي مرة أخرى ...

بدأت أخلع ملابسي في مواجهتها تمامًا ... وحينما شعرت بالشفقة تجاهها - إذ ربما هي محقة في ثورتها - كانت هي اللحظة التي بدأت أستغرق فيها في النوم ....

- ٣ -

كان الجو صحوًا .. والصباح جميل ..

رائحة الندى تتسلل إلى أنفي تنعشني وتستَـثيرُ رومانسيَّاتي.. إلا أن الوجوه من حولي كانت كلها عابسة أفول كأنما الصباح ليس صباح ربنا أو كأننا مساقون جميعا لمقصلة ما أو سجن مؤبد ... لا أدرى من أين بدأت تتسلل إلى أنفى تلك الرائحة الكريهة الخانقة ..

ومع الوقت .. وبتأثير مما حولي .. بدأ القلق يتسرب إلى نفسي فبدأت تلك الحركة العصبية التي أحكُّ بها أنفي .. ثم أخرجت سلسلة المفاتيح لأستكمل بها مسلسل القلق والعصبية.. كل ذلك دون أدري له سببًا سوى انتظاري للأتوبيس .. الأعداد من حولي تتزايد في اضطراد كأنما هناك مصنع لتفريخ المنتظرين في مكان ما خلف ما يحيطني من مبان.. الضيق يزداد .. والرائحة الخانقة أصبحت تسيطر على كياني كله .. الباعة الجائلون بدأوا يتوافدون .. يتصايحون .. يتغنون ببضاعتهم .. يزداد صياحهم وتغنيهم .. السيدات السمينات بدأن في الظهور في البلكونات القصيرة .. الأطفال البائسون بأحمالهم الثقيلة تنضغط أجسادهم الضئيلة في طريقهم لمدارسهم

المزدحمة والناس تتابعهم في ضيق .. الأتوبيس تأخر .. الوقت يمر .. الشفاه بدأت في المصمصة والعيون تتجه إلى ساعات اليد ما بين اللحظة واللحظة..ستتأخر على العمل..دفتر الحضور... المدير ...

وحينما بلغ الضيق أشدَّه ...

وأوشك الوقت أن يأزفَ ...

جاء الأتوبيسُ اللعينُ ...

يتهادى ... يتبختر ... يهتز يُمنَة ويسرى .. ثم توقفَ في عنفٍ .. تدافعت الجموع .. انصهر الجميع في بوتقة باب الأتوبيس .. صار كلنا – ونحن مختلفون – كأننا كيان بشري واحد متعدد الألوان والأفكار والمواهب .. نتحرك بدافع من دفع الخلايا الأخرى المشاركة – لك – في الجسد الكبير .. فقد كل منا حركته التي تميزه عندما اشتركنا جميعًا في الحركة الواحدة الكبيرة .. استحال لكل منا انبعاجات وانحناءات كي تناسب الحيز المفروض عليه من فراغ ..

ثم حينما استقر الأمر هكذا .. بدأ كل منا – بمفرده – يبحث عن حيز أكبر يشغله .. فبدأت أتلقى – وأؤدي – تلك الدفعات المتتالية المعبِّرة عن الضيق والغضب .. بدأت الأصوات

العالية تعلو أكثر فأكثر، والهتاف استحال صراخــًا هو أشبه بالعويل .. النظرات كلها ترقب وانتظار لمجهول لا يأتي ..

في عنف .. يتتابع توقف الأتوبيس ثم استئنافه المسير .. أسمع استغاثة رجل سُرقت محفظته .. لم ألتفت – ولا أي أحد أخر – إليه .. وهناك تلك الزوجة – ما أشبهها بزوجتي – قد بدأت صراعًا ما مع زوجها المسكين الذي يتصبب عرقــًا .. شيخ كبير طاعن في السن يقف بجواري متوكئــًا عصاه ولا أحد يريد إجلاسه مكانه .. ألتفت ورائي فيدهمني دخانُ سيجارةٍ أشعلــَها أحدُ الرُّكاب .. مذكرًا إياي أن أخرج علبتي و أشعل سيجارة أنا الأخر .. امرأة ترضع وليدها بينما هي عنه متشاغلة بلا شيء كأنما هو يوم القيامة وهي عنه ذاهلة .. فرغ الطفل من الرضاعة ليترك ثدي أمه ويبدأ في البكاء .. ترى ماذا أبكاه ؟! مازالت الأم مشغولة باللا شيء أعادت ثديها مكانه وأسلمت طفلها للبكاء ..

وفى عنف يتوقف الأتوبيس مرة أخيرة ...

فأنزل منه ...

– ٤ –

نبدأ – كلنا – العمل في غاية الهمة والنشاط .. إلا أن ذلك طبعًا يكون بسبب حضرة المدير .. الذي يبدأ – مثلنا – يومه في غاية الهمة والنشاط عملاً بمهام منصبه .. التي هي في الحقيقة لا شيء – مثل مهامنا جميعًا .. نشترك جميعًا – صغارًا وكبارًا.. مُوَظفينَ ومُديرينَ – في تلك التمثيلية الكبرى المسماة العمل .. تلك التمثيلية التي نوهم أنفسنا أننا بسببها نستحق تلك الجنيهات الشحيحة التي لا تكاد تكفينا الكسوة .. المهم أن هذا الحماس للعمل لا يلبث أن يفتر بعد عدة دقائق لتبدأ ثلاثية الشاي والفول والجريدة .. هذا إذا أخذنا في الاعتبار أن التدخين إجباري وليس اختياريًّا كما يتوهم بعضنا ..

• • •

أسمع حولي أخبار الجريدة ..

• طفلان يراهنان زميلاً لهما للقفز من الدور الثالث مقابل خمسة جنيهات .. الطفل يسقط من الدور الثالث ويلقى مصرعه .. ما هو موضوع الخمسة جنيهات هذه الأيام ..

• الزوج يعود متأخرًا ليلاً .. يجد زوجته وعشيقها .. يقتل العشيق .. العشيق في المشرحة .. الزوج في السجن .. والزوجة الخائنة حرة طليقة .. مُفارَقَـة لذيذة ...

• تصريحات للوزراء عن حل مشاكلنا جميعًا في القريب العاجل .. أخذت أبحث في النتيجة أمامي عن يوم من أيام السنة اسمه القريب العاجل .. لم أجد ...

• بطل العالم في الملاكمة يقبض عشرين مليون دولارًا بعد معركته مع متحديه على اللقب .. ترى ما الذي أكسبه أنا من معركتي مع الحياة ....

إعلانات مبوَّبة .. مطلوب لوظيفة بسعر خيالي .. خريج هندسة .. عمره خمس وثلاثون عامًا .. طوله مائة وسبع وستون سنتيمترًا .. لون الشعر كستنائى فاتح .. لون العينين عسلي .. ترى هل من الممكن أن يتم قبولي في الوظيفة المعلنة؟!! أم سيقبلون الأحد الأخر ...

• صدق أو لا تصـــدق .. قام أربعمائة قرد من فصيلة قرد البابون بالتظاهر على أحد الطرق السريعة احتجاجًا على قتل زميل لهم في اليوم السابق نتيجة سيارة مسرعة .. أكرر .. قردة البابون ....

• • •

جاءني طلب ما لتخليصه ...

لم أنظر إليه ..

أخذت أبتسم في سعادة وأنا أقول ((فوت علينا بكره)) ..

انقلبت الابتسامة إلى قهقهة عالية ..

عيناي تلمعان وتدوران في محجريهما ..

بينما الكل يمصمص شفاهه ..

ويتهمني بالجـــــنون ...!!!



قضـــباه



إهــــداء خـــاص :

إليــها ..

إلى فــتاة مطــروح التي ..

قابلتهــا للحــظات ..

فاختفت ...

****

((الفاصل بين أطياف الحلم
ومرارات الواقع
خيط رفيع واهٍ
من دخان أو سراب ..
أو لاشئ على الإطلاق ...))

استيقظت الشمس الذهبية الرائعة لتنفض عنها كسل الأمس وتستقبل عمل اليوم الشاق بنفس راضية .. نسمات تهب على استحياء لا تقدر معه أن تحرك حتى نفسها .. صفحة المياه الناعمة كبشرة طفل وليد تتهادى وتخطر كعذراء ليلة حنتها ..

في هـــــدوء ..

انساب الشعاعُ البرَّاقُ اللامعُ وتسلل من بين الفرجات المعدنية التي استـــقبلته إلا أنه أستكمل رحلته ليسقط على وجهها الوادع النائم في جلالٍ ملائكيٌّ .. تململت قليلاً .. في تكاسل بدأت تفتح جفونها .. فمسحت عينيها بيديها الرقيقـــتَـــين .. ثم استوت على سريرها في نصف جلسة .. نظراتها ما زالت تحمل ذهول عدم تصديق الاستيقاظ من النوم .. فكرت لوهلة أن تستأنف نومها .. إلا أنها – حتى هذه الفكرة البسيطة – وأدتها في مهدها .. في نشاط مفاجئ هبَّت واقفة .. اتجهت صوب قضبان الشباك المعدنية .. أمسكتها .. تطلعت من خلالها إلى العالم البكر من حولها .. كانت القضبان المعدنية .. باردة .. مبللة بالندى .. بينما بدت – هي – في وقفتها تلك كأنما هي مستغرقة في تفكير عميق .. فيم ؟! لا شيء محدد .. مجرد تفكير كيلا يتوقف العقل عن التفكير ..

تمرين ذهني يمنع الضمور والخلل .. مسحت يديها المبللتين في ذيل منامتها (الكستور) .. ثم استدارت لتواجه مكونات غرفتها .. مملكتها الصغيرة .. العالم الوحيد الذي تتحكم فيه ولا يشاركها فيه أحد .. على أحد الحوائط كانت بعض الرسوم الساذجة لوجوه من محيطيها .. وعلى آخر مكتبة متوسطة حبلى بروايات رومانسية .. يحمل جانب آخر مكتبها الصغير الذي اعتادت أن تذاكر عليه أيام دراستها .. وبالرغم من أن ذلك لم يمض عليه من الزمن الكثير .. إلا أنها حسبته دهرًا كاملاً .. عاشت وماتت وعشقت وكرهت وأكلت وشربت ونامت بل وتزوجت خلاله ألف مرة ومرة ..

في رتابة بدأت - بلا وعي منها - ترتب سريرها .. تفرد الملاءَة البيضاءَ أمام وجهها لتحجب عنها المرئيات .. خفضتها .. رفعتها .. خفضتها .. مستمتعة بالتغيير الذي يحدث كل مرة ثم أحست بالملل ففرشتها.. ثم ما لبثت أن استأنفت ترتيب باقي الغرفة .. وحين انتهت .. نظرت إلى ساعتها .. كان الوقت لا يزال مبكرًا جدًا .. لا بد أن أحدًا لم يستيقظ غيرها ..هذا الوقت ملكها وحدها .. لو شاءت لرقصت أو غنت أو كتبت أو رسمت .. إذ لا أحد يراقبها .. يحاسبها .. يحصي عليها أنفاسها .. يتساءل كل لحظة عن الغرض وراء ما تفعل..

يخترق عيونها وفتحات أنفها وأذنيها ثم ينبش داخل دروب عقلها بحثا عن المجهول ..

تلفتت حولها في تلقائية ..

ثم في تردد ليس له ما يبرره تقدمت نحو (الكاسيت) القابع فوق المكتب .. فتحت درجًا جانبيًا - كما لو كان سِريًا - لتنتقي شريطا تحبه .. ثم تعود للشباك الوحيد بالغرفة لتنظر منه مرة أخرى بينما النغمات الموسيقية المحببة قد بدأت تتسلل من خلال أذنيها إلى رأسها .. فجسدها كله .. تملأ كيانها .. تبدأ في التمايل والتراقص وفق الإيقاع المتناسق .. تتأود ضفيرتها الوحيدة يمنة ويسرى على ظهرها .. تتلاعب خصلات شعرها المتهدلة .. لا تعود تحس ببرودة أو بلل القضبان المعدنية .. بل أصبحت لا تدرك وجودها أصلاً .. هي الآن طائر مغرد يطير مفرود الجناحين .. يحلق في سماء سابعة .. يتقافز بين الفينات.. يحط أينما يحط..

لا يهمها الآن إن استكملت دراستها أم لا ..

تزوجت ممن تحب أم لا ..

عاشت حياتها في القاهرة أو الإسكندرية أو لا ..

النشوة الكاملة التي تملؤها الآن أنستها كل أحلامها .. كل تطلعاتها المستقبلية .. أنستها عائلتها المحافظة .. التقاليد .. العادات .. الأصول .. الواقع .. كل شيء ...

ارتفع الإيقاع صخبًا .. وازدادت الحركة ليونة ويسرًا ..

كل خلجة من خلجاتها .. كل عصب .. كل عضلة .. كل كرة دم حمراء صارت تشارك في الموسيقى العامة .. وخلف الشباك رأت أضواءًا مبهرة .. وألوانـًا صاخبة .. حمامات تتغازل فيما بينها في السماء الرحبة .. فساتين ملونة .. وأدوات زينة .. عطور باريسية أخاذة .. وشباب من الجنسين يشاركنها الرقص .. فاردة ذراعيها .. وفي حركات تشبه فالسات الدانوب الأزرق بدأت تتماوج عبر أرجاء الغرفة على موسيقى لم تعد تصدر من (الكاسيت) الكهل على المكتب القديم .. بل من داخلها هي ومن تلحينها وتأديتها هي ..

لم تعد ترى باب الغرفة الموصد ولا الجدران الأربعة ..

صار ما حولها حديقة غناء واسعة حافلة بكل أنواع الأزهار والرياحين ..

ثم فجأة .. توقفت .. كأنما هو انقطاع الكهرباء ..

كأنما انتهت الأغنية لضغطك زر الإيقاف ..

في لحظة استعادت كل الواقعيات ..

فتوقفت .. ليهتز ذيل منامتها وضفيرتها الوحيدة اهتزازة أخيرة قبل أن يسكنا سكونا مقبضًا .. وفي رعب مفاجئ

تطلعت صوب الباب الموصد الذي ما لبث أن انفتح ليبرز منه أخوها متسائلاً عما تفعل ...

في إرتباك غمغمت أن لا شيء فغادرها الأخ بعد نظرة متشككة .. لتنهار هي فوق أقرب كرسي منها .. ثم تزفر زفرة حارة ..

وتنظر بعينيها للاشيء ...

متمنية في قرار نفسها ..

أن يأتي يوم تستقل فيه ..

ولو أحد تلك (الكارتات) العتيقة التي تجرها الحمير ..

فتنطلق بها ..

بلا توقـــــف ..

تنطلق .. وتنطلق .. وتنطلق ...

إلى نقطة في الأفق لا نراهـــا .....!!!

الفهرس

عن الكاتب

- محمد نجيب عبدالله
- يعمل مدرساً لأمراض الباطنة بكلية طب قصر العيني — تخصص أمراض الكبد والجهاز الهضمي
- سبق له الفوز بشهادة تقدير في مسابقة سعاد الصباح للقصة القصيرة.. وتأهل للتصفيات النهائية لمسابقة كتاب اليوم التي نظمتها دار أخبار اليوم مؤخراً عن قصته الزفرة ..

صدر له :

- ما قبل وفاة ملك — قصص — آفاق للنشر والتوزيع ٢٠٠٥م.
- عندما تموت القطط — قصص — اكتب للنشر والتوزيع ٢٠٠٧م.

تحت الطبع :

- وقائع بعض ما جرى .. قصص
- رومانسيات .. قصص
- نوبة حنين .. قصص
- المبتعدون لكي يقتربوا .. رواية
- أشياء في الحب تقتلنا .. رواية

أذوب عشقاً .. رواية

للتواصل :

mnwifi@gmail.com

